الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية: الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الشخصية البطلة في أدب البطولة الجزائري بين الحضور والغياب

فن المغازي وقصص الأولياء –أنموذجا–

مذكرة مكمّلة ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص أدب شعبي

إعداد الطالبة:

* صليحة عوينات

إشراف الأستاذ:

* عبد الكريم شبرو

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
أ. ياسين صلاح	أستاذ مساعد	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	رئيساً
أ. عبد الكريم شبرو	أستاذ مساعد	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	مشرفاً ومقرّراً
أ. علي كرباع	أستاذ مساعد	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	عضواً ومناقشاً

السنة الجامعية: 1435 ـ 1436هـ / 2014 ـ 2015م

﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ ﴾

يوسف: ٣

شكر وعرفان

من لم يشكر الناس لم يشكر الله، لذا نتقدم بخالص الشكر والإمتنان إلى كل من مدّ لنا يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث المتواضع وكان داعماً لنا طوال المشوار الدراسي .

بداية نشكر الأستاذ الفاضل: *"عبد الكريم شبرو"* على إشرافه وتوجيهه .

ونشكر كل من الأساتذة: د . كمال بن عمر، كرباع علي ، هواوي نهيان .

كما نتقدم بخالص الشكر إلى الزاوية القادرية بالوادي والسيد فريد فرحات على المساعدة والدعم .

وكل من كانت لهم يد خفية وبصمة في هذا البحث .

مقدمة

يعتبر قصص البطولة الأدب المعبر عن معاناة الشعب وميولاته وعن آماله وآلامه، وكانت عناية الشعب الجزائري بهذا الأدب تعوض له حرمانه من حقه ومما نهبه المستعمر من هوية جزائرية وشخصية إسلامية مستقلة، فحاول العودة إلى سير الأبطال لرغبته في إعادة أمجاد أجداده، والميل إلى هذه الشخصيات البطلة التي تعبر عن طموحاته وأحلامه، فكان البطل تجسيدا لما يرغبه ويطمحه الراوي والمتلقي، فتحضر الشخصية بثوب جديد يكسبها حق الوجود مرة أخرى، في جميع أشكال أدب البطولة (فن المغازي، قصص الأولياء والبطولة البدوية)، وبما أن المغازي الأكثر تداولا لدى الرواة وتأتي قصص الأولياء بعدها من حيث الأهمية، حيث لعبت دوراً أساسياً أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر، كان الرواة يستغلون تجمعات المواطنين ويبثون رسائلهم التوجيهية والتحفيزية من أجل الدفاع عن الوطن، كما يسرّبون أخبار المجاهدين وانتصاراتهم، كذلك الأمر بالنسبة لقصص الأولياء التي من خلالها تتوضّح أهمية علاقة العبد بربّه، فكلما أخلص المؤمن في طاعته لمولاه كانت له الأحقية في كسب المحاسن ونيل الكرامات، ونظراً لانتشار هذين النوعين في الأوساط الشعبية الجزائرية، فقد لفت هذا انتباه المستعمر الذي حارب الأدب البطولي من خلال سجن رواته وإيقافهم عن العمل، فقد أثار هذا لدينا فكرة الموضوع الموسوم بـ: **الشخصية البطلة في أدب البطولة الجزائري بين الحضور والغياب ـ فن المغازي وقصص الأولياء أنموذجا**، لتفتح أمامنا العديد من الإشكاليات:

- كيف تكون هذه الشخصية البطلة بين الواقع التاريخي والمبالغة الفنية؟ وكيف يتمّ حضورها؟ وحين يجعل الراوي من الشخصية العادية شخصية خارقة فهل نعتبر هذا إبداعا فنيا أم ذوقا خاصا؟ وما هي دواعي هذا الاستدعاء المفاجئ؟

فهذه التساؤلات جميعها كانت من بين الدوافع التي أثارت فضولنا للبحث في كنه الموضوع الذي قمنا بدراسته من خلال الخطة القائمة على نظام الفصول أولها مدخل وهو الطرح النظري للشخصية البطلة، تطرقنا فيه لمفهوم الشخصية (لغة واصطلاحا) ثم أنواعها فأبعادها، ومفهوم البطل (في اللغة والاصطلاح) ثم الجمع بين المصطلحين وتعريف الشخصية البطلة.

ويتكـون الفصـل الأول (أدب البطولـة الجزائـري مفهومـه وأشـكاله) مـن مبحثـين، أولا البطولـة مفهومها ودوافعها، ثانياً أدب البطولة الجزائري وأشكاله، فقد عرفنا البطولة لغة واصطلاحا ثم دوافع البطولة، وذكرنا مفهوم أدب البطولة نشأته وسماته وأشكاله، وتكلمنا بالتفصيل في الأشكال عن فن المغازي (أصوله، العناصر المكونة للمغازي، شكلها). قصص الأولياء (الأقطاب والمحليين) قصص البطولة البدوية.

أما الفصل الثاني: الحضور والغياب في فن المغازي وقصص الأولياء بداية بقصص المغازي التي معظمها تتكلم عن الإمام علي ثم عبد الله بن جعفر وقصص الأولياء، أولا الأقطاب وقد اخترنا شخصية عبد القادر الجيلاني، وقصص الأولياء المحليين، ثمّ خاتمة ذكرنا فيها بعض النقاط المستخلصة من البحث وتليها الملاحق ثم قائمة المصادر والمراجع.

ومن هنا تتوضح لنا المناهج التي نعتمدها في الدراسة، فهناك دائما منهج أساسي وهو المنهج التاريخي الذي اعتمدناه في الفصلين، والذي يقوم على تقصي المعلومات المستقاة من الكتب وتتبع آثارها، كما اعتمدنا المنهج الاجتماعي الذي يهتم بالمعتقدات الشعبية، كما قمنا بتحليلها ضمن المنهج الوصفي التحليلي، وقد وضحنا الميول والمعتقد، وأما المنهج المقارن فقد اعتمدنا عليه في الفصل الثاني بشكل بسيط، حيث لم نقم بالمقارنة الدقيقة بين ظاهرتي الحضور والغياب وإنما وضحنا الفرق بين حضور الشخصية وغيابها كما طبقنا أيضا المنهج الوصفي التحليلي بشكل كبير، والمنهج السردي الذي اعتمدنا عليه في سرد القصص.

ونظرا لتواجدي بقرب مزار الولي الصالح "علي بن خزان" فقد كنت أشاهد سنويا ـ وفي منتصف كل خريف ـ تلك الطقوس المتبعة في كل زيارة من قبل الزائرين، وإقامة الولائم ثم تلك القصص المحاكة على لسان والدتي والكثير من أهل المنطقة بعث في نفسي التساؤل: ما الداعي لكل هذا وما الفائدة مما يفعلون؟ ولكن ظلت أسئلة بدون إجابات ليفتح أمامي ـ مجال تخصصي في الأدب الشعبي

ـ فضاءات عديدة صقلت الفكرة في رأسي وخرجنا بهذا الموضوع الذي لم يكن مدروسا بشكل كاف، ولم يسلط عليه الضوء بالطريقة التي درسناه بها، فكان هذا دافعا آخر لتناول الموضوع.

ولكي نوضح أسباب انتشار مثل هذا القصص في زمن معين فلظهوره أسباب ولتراجعه أسباب وقد ذكرت منها روزلين ليلى قريش في كتابها "القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي" وعبد الحميد بورايو في بعض من دراساته: "الأدب الشعبي الجزائري، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، البطل الملحمي والبطل الضحية" وغيرها من الدراسات التي تعرضت لأدب البطولة وتكلمت عن أشخاص الروايات البطولية وجسدت أبطالها كما يراها الخيال الشعبي، فكانت هذه المراجع من بين العديد التي استقينا منها المادة العلمية وأضافت إلى رصيدنا وإلى بحثنا ونذكر منها: لسان العرب لابن منظور، في التعريف اللغوي للمصطلحات، البطولة في الشعر العربي لشوقي ضيف، البطولة لنبيلة ابراهيم، السرد العربي مفاهيم وتجليات سعيد يقطين، البطل الشعبي لكارم محمود عزيز، الأدب الشعبي الدرس والتطبيق أحمد زغب. بالإضافة إلى بعض رسائل الماجستير والدكتوراه أهمها: أطروحة دكتوراه: قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري دراسة وصفية تحليلية للعربي بن عاشور.

أما الرواة فقد اكتفينا بالراوي عبد الحميد قليدة من منطقة الذكار بولاية الوادي، وقد أفادنا

بالكثير من المعلومات وأخذنا عنه بعض القصص التي اعتمدناها في الفصل الثاني.

وككل بحث علمي فبحثنا لا يخلو من الصعوبات تجلت أولها في قلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال وخصوصا فن المغازي، وصعوبة العثور على النموذج المثالي للتطبيق، لكن بفضل الله أتممنا هذا البحث بمساعدة الأساتذة الكرام والأخوة الأفاضل والزميلات الفضليات الذين أتقدم لهم بالشكر والعرفان، ولكل من ساعدني في هذا البحث وهيأ لي جو العمل، وكل من قدم لي الدعم والمساعدة، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف عبد الكريم شبرو.

نرجو من الله العلي القدير أن يوفقنا في إيصال المعلومة والفائدة، وأن يكون هذا العمل مثمرا ونافعا لطالبي العلم والمهتمين بالتراث.

مدخل

الطرح النظري

للشخصية البطلة

1- مفهوم الشخصية (لغة واصطلاحا)

2- أنواعها وأبعادها

3- مفهوم البطل (لغة واصطلاحا)

4- الشخصية البطلة

تمهيد:

لعب القصص الشعبي دورًا هامًّا في حياة الشعب الجزائري نظرًا للفراغ الذي تركه الأدب الرسمي، وذلك لضعف الثقافة العربية وسيطرة الثقافة الفرنسية على الفكر الجزائري منذ الاحتلال حتى بداية النهضة العربية في الجزائر، فكان للأدب الشعبي الحظ والنّصيب ليملأ هذا الفراغ، والمعبِّر عن المشاعر والأحاسيس والطموحات والآمال الشعبية شعرا ونثرا.

ظلّت الأقاصيص الشعبية هي الملاذ الوحيد للجزائري في أسماره وسهراته، حيث كانت هذه القصص عن البطولات العربية والأساطير والخرافات، فهو من جهة يسترجع تلك البطولة العربية ونضال الأبطال الذين يستلهم منهم القوّة والشجاعة، ومن جهة أخرى يحاول نسيان واقعه الأليم وهو تحت رحمة الاستعمار وسيطرته بسرد هذه القصص والتّسلية بسماعها والاستمتاع بها.

ولهذا السّبب انتشر القصص الشعبي وطغت عليه الأساطير والخرافات، حيث تعلّق الجزائري أيضا بالملاحم والبطولات العربية، وكانت هذه القصص تروى في جميع المناسبات وأينما كانت التجمّعات[1].

[1] ينظر عبد اللّه الركيبي، القصة الجزائرية القصيدة، دار الكتاب العربي، الجزائر، دط، 2009، ص 45.

1) مفهوم الشخصية:

نظرا لمكانة الشخصية في الدراسات الحديثة، فقد نالت اهتمامًا كبيرًا من طرف الباحثين وعلماء النّفس والاجتماع والنّقاد الأدبيّين، حيث أنّ العمل الأدبي لا يستقيم إلاّ بشخصيّة تقوم بإسناده وتفعيله، وتحريك الأدوار وتطبيق الأفكار التي يوردها الراوي من خلال القصة أو الرواية.

ونظرا لعلاقة الشخصية بالسّرد وكونها محوراً يعمل على تحريك الأحداث وسيرورتها وجب علينا توضيح هذه الأهميّة من خلال طرح مفهوم الشخصية في اللغة والاصطلاح ومعرفة أنواعها وأبعادها.

أ- الشخصية لغة:

وردت كلمة شخصيّة ضمن مادة (شخص) في المعاجم العربية بعدة معاني عنت أغلبها تصرّفات قام بها الإنسان أو صفات اتّصف بها حيث نجد في لسان العرب: (شخص) بمعنى الشَّخْصُ: جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشُخوص وشِخاص والشّخص، سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيت جُسمانه، فقد رأيت شخصه.

والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص[1].

وفي المعاجم الحديثة لم يختلف كثيرا معنى (شخص) فقد جاء في المعجم الوجيز: شخص الشيء شخوصا، ارتفع وبدا من بعيد، والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، وغلب في الإنسان[2].

أما عند الفلاسفة: الذات النوعية لكيانها، المستقلة في إرادتها ومنه (الشخص الأخلاقي) وهو من توافرت صفات تؤهله للمشاركة العقلية والأخلاقية في مجتمع إنساني[3].

وبما أنّ كلمة (شخصية) لم ترد في لسان العرب كونها مصطلح حديث فقد ذكرت في المعجم الوجيز بمعنى: صفات تميز الشخص عن غيره، ويقال: فلان ذو شخصية قويّة، ذو صفات متميّزة

[1] ابن منظور، لسان العرب، مجلد 7، دار صادر، بيروت، دط، دت، مادة (شخص)، ص 45.
[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دط، دت، ص 336.
[3] المرجع نفسه، ص 336.

وإرادة وكيان مستقل[1].

فالشخصية في اللغة كل ما دلّ على الإنسان من جسم وصفات تميزه عن غيره وتجعل له وجود وكيان خاص به.

ب-الشخصية اصطلاحا:

وليس بعيدا عن المفهوم اللّغوي نجد الشخصية في الاصطلاح في مجالات عديدة كعلم النفس وعلم الاجتماع وفي النقد كذلك، ومع أنه ما يهمّنا هو الشخصيّة في القصّة والقصّة الشعبيّة تحديدًا، إلاّ أنّنا سنذكر بعض التعريفات البارزة للإحاطة بالمفهوم العام.

فالأصل في كلمة (شخصية) أنها مشتقة من لفظ لاتيني (persona) ومعناه القناع الذي يوضع على الوجه فيخفي ملامح الشخص الحقيقية، ويظهر ملامح أخرى غير التي يبدو عليها في الأصل، وتعني الوجه المستعار الذي يتخذه الشخص للظهور بوجه آخر غير حقيقته، فتختفي ملامح وتظهر أخرى[2].

ويعرفها آلبورت (Allport) أنّها: ‹‹ذلك الانتظام الدينامي في الفرد للأجهزة النفسية الفيزيولوجية والذي يحدد توافقاته الأصلية مع بيئته››[3].

بمعنى أنّها حركة منتظمة لدى الشخص للأجهزة النفسية والفيزيولوجية (العقل والجسم، أو الأفكار الخاصة بالشخص وهو ما يبيّن طبيعة الشخص ويحدد تأقلمه الحقيقي وتوافقه مع البيئة التي ينحدر منها.

أما بيسانز(Busannz) يعرفها على أنّها ‹‹تنظيم يقوم على أساس من عادات الشخص وسماته، وهي تنبثق (الشخصية) من خلال العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية››، وقد عنى بيسانز

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ص 336.

[2] ينظر سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1983، ص 116.

[3] سلمان عبد الواحد، مبادئ علم النفس العام، مؤسسة طيبة، القاهرة، ط1، 2011، ص 317.

(Busannz) بالتنظيم تكامل العادات والاهتمامات والسمات التي تحدد ملامح الشخصيّة فهي بالنسبة له ثقافة وميول وملامح.

كما تذكر ‹‹ثريّا التجاني›› تعريفا آخر للشخصيّة أكثر شمولا من سابقه حيث تقول أن: ‹‹الشخصية كما نفهمها اليوم. مزيج من الفعاليات البايلوجية. والذاتية أو الفكرية والحوادث الاجتماعية››[1]، مما يتضح هنا أن للشخصية أبعادًا مختلفة تمثلت في البعد البيولوجي والاجتماعي والنّفسي. وهذا يدخل في تكوين شخصية الرواية أو القصّة القصيرة حيث أن الشخصية في القصّة أو الرواية هي أداة تقوم بالفعل أو يقع عليها الفعل[2].

إذن فالشخصية في القصّة هي أداة تحرك العمل القصصي وتدور حولها الأحداث، لها ملامح خاصة تميزها من شخص لأخر يتدخل في تكوينها عدة عوامل مثل الوراثة والبيئة والمجتمع الذي يحمل عاداتًا وتقاليدًا وأفكارًا تخصه، والتي بدورها تؤثر في الفرد وتجعل منه كيانا مستقلا يتفرد بخصوصياته عن غيره وملامحه المعينة التي تكشف عن سلوكاته وأفكاره.

2) أنواعها وأبعادها:

أ–أنواع الشخصية:

للشخصية أنواع عديدة صنّفها الباحثون كل حسب رؤيته لها وحسب مفهومه الخاص للشخصية، أو حسب الدور الذي تلعبه في القصة أو الرواية، ونذكر من هذه الأنواع: الثابتة والنامية، المرجعية الواصلة وغيرها..

* الشخصية الثابتة والسكونيّة: التي لها سير خطّي واحد لا تتطور ولا تتبدّل، ولا تقبل التّغيير، تحافظ على صورتها الأولى من بداية القص حتى نهايته[3]. ويقول عنها "فورستر" شخصية مسطحة

[1] المؤلف مجهول، الشخصية والذكاء، سلسلة معارف الإنسان، نقلا عن ثريا التجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري–وادي سوف أنموذجا، دار هومة، دط، دت، ص 108.

[2] المرجع نفسه، ص 108.

[3] ينظر جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو وجماجم والجبل لمصطفى فاسي (مقاربة في السيميائيات)، منشورات الأوراس، الجزائر، دط، 2007، ص 63.

فهي تظل على ثباتها[1].

*الشخصية النامية أو الديناميكية: والتي تتغير بتغير الأحداث شخصية حركية نشطة وتستطيع أن تقول عنها فاعلية[2]، ويسميها "فورستر" (Forster) بالمغلقة حيث لا تستطيع التنبّؤ بمصيرها فهي لا تستقر على حالة واحدة[3].

*الشخصية المرجعية: هي شخصية تاريخية لها وجود حقيقي وواقعي يعتبرها القاص مرجعا أساسيا يعتمد عليه أثناء السرد لإضفاء المصداقية لرواياته، كذلك الاجتماعية والميثولوجية والمجازية، لها معنى ثابت تفوضه ثقافة القارئ[4]. مثل شخصية الرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب...

*الشخصية الواصلة: وهي التي تربط القارئ بالمؤلف في النص كصوت الراوي أو الشخصية التي تقوم بسرد الأحداث وشرحها[5].

*الشخصية المكررة: وهي التي تنذر بالخير وتذيعه وتقوم بتأويل الدلائل[6].

كما أن هناك تقسيمات أخرى مثل: الرئيسية، الثانوية، البسيطة وغيرها.

ب- أبعاد الشخصية:

إنّ للشخصية أبعادا تدخل في تركيبها وتميزها ومن أبرزها الجانب النفسي، والاجتماعي والفيزيولوجي.

[1] ينظر ناصر صالح الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، دراسة نقدية، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، مخطوط،1998، ص 66-67.

[2] ينظر جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو وجماجم والجبل، ص 64.

[3] ينظر ناصر صالح الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، ص 67.

[4] ينظر محمد حزام، شعرية الخطاب السردي- دراسة- منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005، ص 11.

[5] ينظر جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو وجماجم والجبل، ص 64.

[6] المرجع نفسه، ص 64.

*الكيان النفسي: يتعلق بتفكير الإنسان وميولاته ورغباته وما يشعر به من أحاسيس داخلية وخواطر[1]، والجانب النفسي يتأثر بطبيعة الحال بالجانبين الاجتماعي والجسمي من سلوك واستعدادات وأفكار وميول وأعمال وغيرها[2].

*الجانب الاجتماعي (السوسيولوجي): يتعلق بالبيئة وبالأسرة كالطبقة والثقافة والسلوك، وما يربط بين الأفراد من علاقات[3]، كذلك انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية معينة ونوع عملها وتصرفاتها وحتى مستواها التعليمي...الخ[4].

*الجانب الخارجي (الفيزيولوجي): يتمثل في جنس الشخصية (ذكر أو أنثى) وكذلك صفات الجسم مهما اختلفت (طول، قصر...الخ)[5] كذلك الهيكل، وتفاصيل البنية الجسميّة، العمر، الاسم، الشكل الشكل ملامح الوجه وكل مظهر يبدو عليه الشخص[6]، ويتعلق بالكيان المادي الملموس والواضح المتعلق بتركيب الشخصية وتفاصيلها[7].

فللشخصية ملامح تتأثر بالبيئة والمجتمع لها كيانها الخاص الذي يميز شخصية عن أخرى ولها مواصفاتها الخاصة أيضا وسلوكاتها التي تحدد ميول ورغبات وتفكير صاحبها.

3- مفهوم البطل:

أ- لغةً:

كثيرا ما نجد ارتباط البطل بالبطولة وَارِدًا في المراجع التي تطرّقت إلى مفهوم البطولة وذكرت مفهوم البطل أيضا، ولكنّنا حاولنا فصلهما لموازاة البطل لدينا للشخصية.

---

[1] فاطمة شكشاك، التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، مسرحية (كل واحد وحكمو) لعبد الرحمان كاكي-أنموذجا-، مذكرة ماجستير في الأدب الحديث جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، مخطوط، 2008-2009، ص 110.

[2] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، دط، 1986، ص 615.

[3] فاطمة شكشاك، التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، ص 110.

[4] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص 615.

[5] المرجع نفسه، ص 614.

[6] نبهان حسون السعدون، الشخصية في قصص علي الفهادي، دراسة تحليلية، دراسة موصلية، العدد 30، 2010، ص 16.

[7] فاطمة شكشاك، التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، ص 110.

"فالبطل عند اليونان إله له علاقة بالبشر يقوم بأعمال خارقة للعادة دائما تدعمه الآلهة لأن هذه الأعمال يعجز عليها البشر"[1].

كذلك البطل شخصية أسطورية قد تكون حقيقية أو خيالية مؤله في كثير من الأحيان وله أعمال خارقة يتميز بها عن البشر كونه ينحدر من سلالة الآلهة.

والبطل أيضا محارب له شهرته وسيته، وقد يكون إنسان له أعمال خاصة: ومكرمات علا شأنه بين الناس فنال حبهم وإعجابهم[2].

والبطل أيضا ذلك الذي يأخذ دور البطولة وهو الدور الرئيسي المهم في القصة أو المسرحية وتدور حوله الأحداث، ويتميز عن باقي الشخصيات بقوى خاصة ونادرة كالذكاء والفطنة والكرم والإيثار، وغيرها يتعاطف معه القارئ والمشاهد أكثر من غيره في مسار الأحداث[3].

هذه المفاهيم الخاصة بالبطل ذكرت في معاجم المصطلحات العربية الحديثة. وهذا ما نقله عنها«محمد أبو الفتوح عفيفي» في كتابة «البطولة» حيث لا يختلف كثيرا عن مفهوم البطل في الاصطلاح.

ب- اصطلاحا:

هو بطل الملاحم والحكايات في الأدب البطولي، وهو الشخصية الرئيسية التي يقوم عليها وبها العمل[4].

وهو القائد الذي يصنع البطولات بقوته وحكمته وقيادته الصارمة وهو الذي يلهم غيره القوة والشجاعة وباستطاعته تغيير التاريخ بأعماله وقلب الأمور لصالحه[5].

---

[1] ينظر محمد أبو الفتوح العفيفي، البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية -سيرة عنترة بن شداد نموذجا-، ابتراك، القاهرة، ط1، 2011، ص 04.
[2] المرجع نفسه، ص 11.
[3] ينظر محمد أبو الفتوح العفيفي، البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية - سيرة عنترة بن شداد نموذجا-، ص 19.
[4] كارم محمود، البطل الشعبي، مكتبة النافذة، مصر، ط1، 2006، ص 33.
[5] المرجع نفسه، ص 33.

وقد يكون البطل تجسيدا لقيمة معينة، وصورة تحكي عن المشاعر النبيلة والراقية التي يعرفها البشر تروي التجارب والخبرات[1].

"والبطل عند الإغريق أنموذجا للأفعال النبيلة التي تنسب إليه والشجاع والقوي في الحرب يسمى بطلا"[2].

"والبطل أيضا كل من نال شهرة وتقديرا واحتراما لدى قومه في حياته وحتى بعد مماته"[3].

والبطل الشعبي له صورة خاصة رسمت في أذهان الجماعة الشعبية فهم يؤمنون بوجوده وقوته وانتصاره، ويحذون حذوه حيث يدفعهم للإقدام في شتى الأمور وحل مشاكلهم بمواجهتها ويحفزهم كما ينمي روح الجماعة ويقوي التماسك بينهم في أصعب الأوقات[4].

4- الشخصية البطلة:

والشخصية البطلة هي ما يرسمه الراوي بطريقته الخاصة لتحقيق رغبة داخلية في نفسه وفي نفس الملتقي، فالبطل كما نقل العربي بن عاشور عن علي زيغور "أن ما نرسمه لأنفسنا فنضع أمانينا ورغباتنا وميولاتنا في صورة واحدة وهو البطل، فكل ما نوده نجعله فيه ونصرف عنه ما نوده، فصورة البطل تجسيدا للمثل العليا والغايات النبيلة والأشياء التي عجزنا عن تحقيقها، وهو الصورة التي نرغب أن نكون عليها والنموذج المثالي الذي نصبو إليه ونتطلع إلى وجوده بيننا"[5].

وشخصية البطل في الأدب الجزائري يُصور من خلالها الكتاب الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها. ببؤسها وحاجتها وشعورها بالمرارة وثورتها على الظلم والتعسف، فهم يصورون لنا أبطالا حقيقيين

[1] نخبة من أساتذة الجامعات العربية، دراسات في المجتمع العربي، ط1، 1985، ص 313.
[2] ناصر الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، ص 47.
[3] العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، أطروحة دكتوراه، مخطوط، جامعة الجزائر، 2012، ص 19.
[4] ينظر نخبة من أساتذة الجامعات العربية، دراسات في المجتمع العربي، ص 313.
[5] ينظر العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، ص 20.

يعيشون بيننا ويشعرون بما نشعر، ويتفاعلون معنا فهم أفراد تتجلى فيهم البيئة بخيرها وشرها وارتباطها بالماضي والحاضر[1].

إذن فالشخصية البطلة هي التي تتميز عن باقي شخصيات القصة ببروزها والتفاف باقي الشخصيات حولها، إذا تقوم هي بالدور الأكبر، وتتميز بميزات البطل المتمثلة في الشجاعة والإقدام والفطنة والذكاء.. وغيرها من الصفات.

[1] ينظر أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، دت، ص 57.

الفصل الأول

أدب البطولة الجزائري

مفهومه وأشكاله

1- البطولة مفهومها ودوافعها

2- أدب البطولة الجزائري وأشكاله

تمهيد:

اهتمت الأوساط الشعبية بالأدب البطولي من حيث نقله مشافهة وروايته في شتى المناسبات وحملته كتراث ترويه الأجيال من جيل إلى جيل ، فهو يحمل تاريخها وماضيها ويخفي في طياته الكثير من الإنجازات التي يفخر بها الفرد في الوسط الشعبي كونه ينتمي إلى تلك البيئة أو غيرها.

ومهما تنوعت وتعددت البطولات نجد اهتمام الأمم والشعوب بها فتسجل مآثرها وترقبها في كل حين (ماضيها وحاضرها) وتتطلع إلى مستقبل مشرق مضيء يُقَوِّم البطولات ويُعَدِّل مسارها الحضاري والمستقبلي.[1]

فأدب البطولة ليس بالأدب الحديث وإنما عرف لدى الشعوب منذ القدم، فقد عرفنا (الإلياذة) و(الأوديسة) وكلاهما تروي قصص وحكايات بطولية خارقة للعادة ،مجدت فيها أبطالها وأكرمتهم بتخليدهم لها.[2]

وتقابله السير الشعبية عند العرب وكلها تعرف بواقعية شخوصها بوجودهم في التاريخ فهم يستدعونها حتى يضفي الراوي الوقعية على رواياته، كما يمتزج معه الخيال فتشكل صورة جديدة مختلفة عن الصورة القديمة ، ويقوم بإحيائها بطريقة ترضي ميوله ورغباته[3].

[1] العربي بن عاشور – قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري دراسة وصفية تحليلية – أطروحة دكتوراه – جامعة الجزائر 2012/2011 – مخطوط- ص96.

[2] عبد الحميد بورايو –القصص الشعبي في منطقة بسكرة – دراسة ميدانية – سحب الطباعة الشعبية للجيش –د ط-2007 – ص70.

[3] المرجع نفسه ص 70.

وقبل أن نتطرق إلى أدب البطولة كان لزاما أن نعرف ماهي البطولة؟ وكيف كان طرحها في معاجم اللغة العربية وفي الاصطلاح ؟ حتى يتسنى لذا معرفة ماهيتها والإحاطة ببعض التعريفات التي اسهمت في شرحها ومحاولة تحديد مفهومها.

1- البطولة مفهومها ودوافعها:

أ-مفهوم البطولة:

- **لغةً:**

يقول شوقي ضيف: «البطولة في اللغة الغلبة على الأقران، وهي غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين ارتفاعا يملأ نفوسهم له إجلالا وإكبارا»[1].

إنه يرى أن البطولة هي الغلبة والتفوق على الأقران وهذه الغلبة تجعل منه متميزاً بتفوقه على غيره مما يجعلهم يرونه يستحق الإجلال والإكبار لدرجة أنهم قد يضعونه في خانة العظماء أو يجعلون منه آلهة لهم يعبدونه ويقدسونه ، فالبطولة في القديم كانت للآلهة وأنصاف الآلهة وهم أبطال الحروب الذين يدافعون عن الحق والوطن وربما الملوك الأقوياء ذوي العدل والنفوذ ، فالإجلال والإكبار يكون لمن أعلى منا مقاما وقدرة، لذا فالبطل هنا من وجهة نظره هو المتميز الذي يستطيع أن يرتفع إلى مقام يجعل منه يستحق الاحترام.

وفي لسان العرب البطل: الشجاع ورجل بطل بين البطالة والبطولة شجاع تبطل جراحته فلا يكترث لها ولا تبطل نجادته، وقيل سمي بطلا لأن الأشداء يبطلون عنده ، وقيل هو الذي تبطل عنده دماء الأقران، فلا يدرك عنده ثأر من قوم أبطال [2].

وبطل (بطولة): شجع واستبسل فهو بطل جمع أبطال [3].

---

[1] شوقي ضيف – البطولة في الشعر العربي – دار المعارف – مصر د ط 1970-09

[2] ابن المنظور- لسان العرب – مجلد 11 – دار صادر – بيروت – مادة (البطل)- د ط – د ت – ص56.

[3] مجمع اللغة العربية – المعجز الوجيز – مادة (البطل) – ص 64.

- **اصطلاحاً:**

البطولة عند الفلاسفة والمفكرين تعني: "العظمة والتميز"[1] أي بمعنى التفوق على كل النقائص والتغلب على العقبات والعوائق كذلك النفوذ والتميز عدم مشابهة أحد والبروز عن الغير. وتقول نبيلة إبراهيم « إن البطولة كما بدت لنا – كل موقف رائع فذ من مواقف الحياة بعث عليه غاية جليلة نبيلة» [2].

فالبطولة موقف فريد من نوعه يحدثه موقف من مواقف الحياة التي بالتأكيد يتعرض لها الإنسان، ولكن وراء هذا الموقف دافع نبيل ليس لإظهار قوة أو نيل إعجاب أو كسب مال ، إنما المواقف النبيلة متعددة لمساعدة محتاج أو لرفع الظلم عن المظلوم أو للدفاع عن الحق وغيره.

فالبطولة إذن قرار يؤخذ في لحظة حاسمة بدافع قوي لغرض شريف.

والبطولة بالمعنى العام القدرة على تخطي العقبات والصعوبات مهما كان نوعها في سبيل أن يحقق البطل أو ينجز شيئا يرنو إليه.[3]

والبطولة لا تكون فردية حتى إن كان العمل البطولي فردي فلا يستطيع الحكم على بطولة شخص إلا مقابل شخص آخر، هنا تتقدم الفردية ، فالبطولة حينها تصبح جماعية لأن الفرد يقيم بالجماعة والعمل البطولي مرده إلى الجماعة، فالبطل وإن انتصر لنفسه فهناك فرد آخر بالمقابل يهزم وهناك مستفيد من هذا العمل وهذا الانتصار الذي يعود بالطبع على الجماعة [4].

فالبطولة وإن كان مردها للجماعة فهي صفة لصيقة بالبطل لشجاعته وبسالته[5].

---

[1] محمد مصطفي كلاب – مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية مجلد 20 – العدد1- 2012- ص 05.

[2] نبيلة إبراهيم – البطولة – دار الأدب الإسلامي- القاهرة – ط 1 – 1996.ص 21-22.

[3] محمد مصطفى كلاب –مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ص07 .

[4] ينظر العربي بن عاشور – قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري ص .24

[5] المرجع نفسه – ص27.

والعرب قديما لم يعتبروا بطولة الحرب هي فقط بطولة ،فقد اتسع معنى البطولة لديهم إلى النفسية والتي تخص صفات داخلية خاصة (الحلم والصبر على الشدائد والحزم والكرامة) وجميعها تعتبر بطولة مادام الشخص يتغلب على النفس والصغائر[1].

وكلها تقوم على التحدي والتحمل والتمسك بالحياة رغم صعوباتها وعوائقها ورغم ما يلم بالإنسان من ضعف وعجز جسماني أو نفسي[2]. فالبطولة ليست صفات خارجية يتصف بها الفرد من قوة وشجاعة وإنما هي أخلاق يحملها بداخله ويحاول العمل بها ونشرها بين الجماعة، فالبطولة الحربية والنفسية تمتزج ببطولة خلقية أضافت لهم القوة فتغلبوا على غرائزهم ،فعمل الإنسان على قهر غرائزه فكانت بطولة خلقية تمثلت في الشرف وحماية الجار[3].

ب- دوافع البطولة:

للبطولة دوافع نبيلة عدة وأشكال مختلفة اختصرتها د. نبيلة إبراهيم في نقاط نذكرها :

* الإيمان بالله: وهو أكبر دافع يمنح القوة والإبداع

* الكرامة والعزة: فالإحساس الشديد بالعزة والأنفة والكبرياء يدفع إلى مواقف بطولية عديدة.

* الحب في الله : للحب أنواع ولكن أسماها وأجلها الحب في الله ومنه حب الصحابة للنبي – صلى الله عليه وسلم .

* الإيثار على النفس : وهي من المكارم التي خصها الله عز وجل بالذكر في كتابه الحكيم وأفضل من أنصار النبي – صل الله عليه وسلم.

[1] ينظر شوقي ضيف – البطولة في الشعر العربي – ص 14

[2] ينظر أحمد سويلم – الشخصية العربية في التراث العربي – دار العالم العربي – القاهرة ط-1-2009- ص 188.

[3] ينظر شوقي ضيف – البطولة في الشعر العربي – ص 14

* غنى النفس (الزهادة): الزهد وغنى النفس أيضا باعثا ودافعا للبطولة واحتقار الحياة الفانية وترك شواتها .

* نقد الذات: صدق المرء مع نفسه وغلبته عليها و مجاهدتها والصدق مع الآخرين ومواجهتهم بأخطائهم ، يعتبر دافعا للبطولة .

* تقوى الله: فهي تجعل المرء يشد قبضته على هواه وتحكم سلطاته على نفسه ،فمن يتقي الله هو البطل .

* الرضوخ للحق والإذعان لله: وهو الانصياع لشرع والرضوخ لأحكامه وتنفيذها وجعل الأولية لها مهما صعب على النفس [1].

* وإذا كانت هذه الدوافع النبيلة دوافعا للبطولة ،فالبطولة لها أيضا شروط وهي الشجاعة ونبل الأخلاق والصفات الحسنة كما يتحكم في مصائر قومه أو مجتمعه ويغيرها ويسمو بها إلى الأعلى وقوي شأنهم أمام الأعداء والأضداد[2].

ولذا حمل الإنسان على عاتقه التغني بهذه البطولات وتمجيدها على مر العصور حتى صار لها أدبا مستقلا أطلق عليه (أدب البطولة) والرواية الجزائري وخاصة الشعبي جزء من هذا العالم الذي عانى ويلات الحرب وأثر استرجاع تلك البطولات على أن يتناساها فصارت همه الأكبر فاجتهد في تذكير المجتمع بها والمتلقي .

أينما حل بطريقته الخاصة لاستنهاض الهمم ودفع روح الشجاعة وبث القوة فيهم .

- فما هو أدب البطولة وماهي أشكاله ؟ وأبرز سماته ؟

[1] ينظر نبيلة إبراهيم، البطولة، ص (23-75).

[2] كارم محمود عزيز – البطل الشعبي- ص 37.

2- أدب البطولة الجزائري وأشكاله:

أ- مفهوم أدب البطولة:

أدب البطولة هو مجموعة القصص التي تروي بطولات ومآثر الأبطال وتصف مغامراتهم وأعماله الجليلة وكل ما قاموا به من أعمال جعلتهم يلقبون باسم (بطل) ويستحقونه عن جدارة فهذه القصص نقول عنها أدب بطولي[1].

وهو أدب شفوي يرويه الرواة و يتداولونه للشعور بالرضى النفسي و الانتماء الوطني في وقت يكون الشعب في أمس الحاجة لمثل هذه الحكايات لتبث فيهم الطاقات وتدفعهم لمجابهة العدو وصده في زمن ضاعت فيه القيم وتراجعت مقاييس البطولة ،فتخاذلت الأنفس واستسلمت لقضائها وبلائها[2].

وكذلك هو أدب موضوعي ذو طابع درامي يميل إلى المبالغة في تصوير مشاهده ، ويستعين بعبارات معينة كما يستعين بشخصيات تاريخية وأحداث واقعية ليكون أكثر مصداقية وقربا للعقول [3].

إذن أدب البطولة هو أدب يروي بطولات الأمم وأمجادها يصف فيه الراوي البطولة الفردية والجماعية لأشخاص عرفوا بشجاعتهم وبسالتهم مع وصف المعارك وساحات القتال ، مع ما يضيفه الراوي من أشياء يشد بها السامع ويرغبه في هذه البطولات المجيدة ،في وقت تخاذلت فيه النفوس وتراجعت الهمم.

[1] ينظر كارم محمود عزيز – البطل الشعبي – ص 37.

[2] ينظر روزلين ليلى قريش – القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي ديوان المطبوعات الجامعية د ط -2007- ص 115

[3] ينظر عبد الحميد بورايو – الأدب الشعبي الجزائري – دار القصبة الجزائر – دط -2007 – ص 93.

ب- نشأته:

أما عن نشأته فيردها الباحث الفرنسي « جان بيارباير » Jeam Pierre "Payard" إلى فتوة ظهور النظام القبلي [1].

ونقول « روزلين ليلى قريش » أن ظهوره و ازدهاره كان وقت الاستعمار وأن أدب البطولة أو القصص البطولي جاء لتبث الحماس ويطالب بالحقوق الوطنية والإنسانية ويحث على تخليص الوطن من النفوذ الأجنبي . كذلك ترى أن الفترة التي انتشر فيها هذا اللون كانت السلطة الاستعمارية تسيطر على البلاد كلها تقريبا منذ قرن ، أي منذ أخمدت ثورة المقراني عام 1871م [2].

وقد كان للحرمان الذي عاشه أبناء الشعب الجزائري أثره في رواج القصص البطولية في ذلك الوقت.

فالحرمان ومحاولة شغل النفس وتباعد الإنسان بينه وبين همومه ،والحاجة الملحة إلى حياء الأيام المجيدة التي عاشها أبطال العرب القدام، الأمر الذي يسمح للمستعين أن يأخذوا جرعة حماسه ، تدفع بهم إلى التفاؤل بالحياة والرجاء من الخروج من عيشه البائس ،كأنهم يستعيدون خصائصهم المميزة وأصالتهم الضائعة[3].

ج- سمات أدب البطولة:

لأدب البطولة ملامح وسمات تميزه عن الأنواع الأدبية الأخرى نذكرها في النقاط الآتية:

- أدب البطولة واقعي شخوصه من التاريخ ويحاول الراوي اضفاء بعض الحقيقة لأجل المصداقية.
- يوازي بين الإدارة العليا وهي القوة الغيبية وبين إرادة البطل لاعتقادهم أن للبطل قوى خارقة تدعمها قوة غيبية.

[1] ينظر عبد الحميد بورايو – الأدب الشعبي الجزائري – ص 92.
[2] ينظر روزلين ليلى قريش – القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي ص .115-116.
[3] المرجع نفسه- ص 116.

- دائما هناك مساندة من هذه القوى التي تحقق للبطل هو الإنسان.
- أدب البطولة أدب موضوعي يميل إلى المبالغة في الدراما وهذه من صنع الراوي فلكل راو طريقته الخاصة في السرد.
- تعتمد التاريخ كقاعدة ثم يمزج بالخيال كالخوارق والسحر والمعجزات والتي تلعب فيه دورا كبيرا[1].

د- أشكال أدب البطولة الجزائري:

لأدب البطولة أهمية كبيرة في التراث الشعبي الجزائري ،لأنه يعكس تطلعات الشعب و آماله في حياته هانئة كريمة أمام كل من ينغص عليه حياته ويسلب منه حقه في العيش والفرح والراحة ، فوظف جميع الوسائل التي يستطيع بواسطتها مواجهة هذا العدو وصده فكانت أحيانا مادية وأحيانا أخرى معنوية.

فأما المادية فتتمثل في وسائل القتال المختلفة وهي كل ما أتيح له منها ،مهما كانت بساطتها وتدخل فيها الأموال بكثرتها وقلتها ، واما المعنوية فلجأ صاحبها إلى لغة الخطاب عن طريق نشر الوعي في الأوساط الشعبية ، لذا وجب أن يكون الخطاب على مستوى العقول المستقبلية لأجل تيسير الفهم ،وسهولة التأثير في المتلقي ، فأتخذ الدين كمنطق لإيصال الأفكار لذا عملت الزوايا على تحفيظ القرآن وشرحه ، وينشر الوعي بين الأفراد وضرورة التعريف بين المسلم والكافر، صاحب الأرض وغازيها ،مما يساعد على بث روح المقاومة والغيرة على الوطن والأرض والمال والمآل [2].

وكان على الشعراء والرواة والدعاة دورا هاما في نشر الوعي وتحريك النفوس وإيقاظ الضمائر النائمة ،سواء بالشعر أو الروايات أو تحفيظ القرآن ونشر التعاليم الدينية ،فكونوا بذلك لونا أدبيا وأشكالا لأدب البطولة ،فكانت المغازي والسيرة التي تروي شعرا ونثر ثم قصص الأولياء التي انتشرت عن طريق الزوايا واحتل مؤسسوها مرتبة عالية لدى الشعب لدرجة أنهم نسبوا لهم الكرمات والخوارق

[1] ينظر أحمد زغب – الأدب الشعبي – الدرس والتطبيق – مطبعة مزوار – الوادي – الجزائر – ط1 – 2008- ص 29.
[2] ينظر العربي بن عاشور- قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري - ص 134-139.

وألفوا حولهم قصص كثيرة وحكايات تعدت حدود الواقع والعقل وصار لهم لمسة خاصة في مساعدة المظلوم وشفاء المريض ودعم المحتاج .

1- فن المغازي :

هو شكل قصصي يروي وقائع الفتوحات الإسلامية يؤديه الرواة المحترفون في التجمعات كالأسواق والمناسبات، يصاحبه العزف على الآلات الوسيقية مثل الربابة .كما يتغلب بالبطولات الحربية في عصر الرسول "صل الله علية وسلم" في مقدمتهم الإمام على بن أبي طالب ،كذلك عبدالله ابن جعفر والمقداد بن الأسود الكندي والزبير بن العوام وخالد بن وليد وعقبة بن نافع .....وغيرهم .

ويطلق عليه الرواة (الغزوات) ومفردها غزوة أو (غزى) وتتناول أحيانا ميلاد الرسول – صلى الله عليه وسلم .ووفاته وقصة مقتل حفيده الحسين[1].

وقصص المغازي شكل من أشكال التعبير عن التجارب الإنسانية فهي ملاذ الفنان الوحيد إذ يعتمدها في التعبير عن ما يشعر به من آلام وآمال وتروي طموحاته وأحلامه ،وكانت وجهة الرواة حين يتمكنون من خلال القص من بث رسائلهم الإصلاحية ، وتوصيل أفكارهم ،ودعم قضية الوطن بالشعر والغناء حيث تكون جلها ألغاز لا يفهمها أيا كان حتى لا يكشف العدو أسرارها وإن حصل هذا يمنع الراوي من ممارسة عمله ، ويتم إيقافه خوفا من تأثيره على الشعب ، حيث يستمتع إلى هذه القصص والحكايات ويعملون بها ،لما فيها من نصائح وإرشادات وتحفيز للدفاع عن الدين والأرض والشرف وعن النفس ،فتروي في شكل نثر أو شعر بأسماء تاريخية معروفة والمقصود منها الحاضر والمتلقي ،استبدل بالغائب الموجود في الواقع وقد استحضر اسمه وأعماله حتى يكون قدوة لغيره[2].

[1] ينظر عبد الحميد بورايو – القصص الشعبي في منطقة بسكرة ص 70 والأدب الشعبي الجزائري – ص97.
[2] ينظر العربي بن عاشور – قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري – ص 148-149.

أ- أصوله:

يرجع ظهور فن المغازي إلى القرن الرابع عشر ميلادي، عندما تراجعت حدود بلاد المسلمين أمام المد المسيحي فجاء هذا الأدب الدعوة والتحفيز [1]يقول " ج دسبرميه" (J Desparmet): "منذ القرن الرابع عشر تقريبا وبالتحديد منذ أن بدأ الفتح العربي ينسحب أمام العودة الهجومية للمسيحية ،أنتجت أرض الإسلام أدبا يحمل اسم "المغازي" من نفس طبيعة الغزوات التي تتحدث عنها ، وهو أدب مجهول بالنسبة لنا يختفي في التاريخ الأدبي تحت قناع اسم طموح ومستعار ، ويتمثل هدفه الوطني في إنقاذ ماء الوجه ،و التذكير بالانتصارات الماضية لنسيان الذل المعاش في الحاضر ، وقد أنبت الغزو الفرنسي لهذا الجذع القديم لرواية الفروسية الإسلامية فرعا جديدا"[2].

يقول عبد الحميد بورايو تعقيبا على هذا القول: "أن جذور هذا اللون الشفهي تعود إلى ظهور الإسلام وهو أحد الحوادث العالمية الكبرى تفجر من خلالها عصر البطولة والأدب البطولي وعرفت رواية السير والمغازي منذ القرن الأول للهجرة حيث هناك مدونات تثبت ذلك ومنها: الراوية إبان بن عثمان ومحمد بن اسحاق ومحمد بن عمر الوقداي، وهذا الأخيرة ينسب له الرواة الجزائريين وتوجد كتب مدونة للمغازي، فتوح إفريقية للوقداي كذلك مجموع "لطيف ظريف " وفيه خمس قصص، وفتوح الشام"[3].

ب- العناصر المكونة للمغازي :

يدخل في تكوين المغازي عدة عناصر وهي : العنصر التاريخي ، العنصر الخرافي ، العنصر الاعتقادي ، العنصر الواقعي ، تتكامل فيما بينها لتعطي لنا أدبا إن صح أن نسميه (أدب المغازي) .

[1]ينظر عبد الحميد بورايو – القصص الشعبي في منطقة بسكرة ص71.

[2] نقلا عن عبد الحميد بورايو – الأدب الشعبي الجزائري ص97-98. J Desparmet

[3]ينظر أحمد زغب – الأدب الشعبي – الدرس والتطبيق – ص 30.

***العنصر التاريخي:**

يتمثل في الوقائع والأحداث التاريخية والأشخاص الذين صنعوا البطولة في فترة ظهور الإسلام [1]، وهي فترة قامت فيها الأمة العربية بدور بارز ،حيث تطورت الحضارة البشرية، وبرزت شخصيات قيادية أثبتت وجودها وبطولتها مما جعلهم يتغنون بهم ويحاولون تحفيز الشعب بتذكيرهم بتلك البطولات واستخدام هذه الأسماء اللامعة حتى في قصص من نسج خيالهم[2].

***العنصر الخرافي :**

تلعب الخوارق دورا هاما في قصص المغازي فنرى وجود الأدوات السحرية وقوتها يستعملها البطل فتساعده في قضاء حوائجه وإنجاز مهامه ،مثل الحصان والسيف ، وهما يستعملها الإمام علي بشكل دائم وتنسب قوتها الإلهية ، وقد تسلمها محمد صلى الله عليه وسلم ، عن طريق جبريل[3] ،كما يقول الراوي عبد الحميد قليدة "العصا ورثها محمد – صلى الله عليه وسلم على موسى – عليه السلام [4]

كذلك القميص الواقي الذي سلمه الإمام علي ولبسه في غزوة " قصر الذهب " ويقال له (القصيص) وهو قميص صارع به التنين فمنع عنه تأثير النار.

أما سلاح العدو فهو عبارة عن بساطة سحري أو ما يشبهه يحمي صاحبه من أسلحة العدو ويقاتل هو دون الإصابة بشيء، وقد شبه بالطائرة الحربية في الوقت الحالي ويقال له (اللولب) ،التاج الذي يخفي صاحبه عن الأعين وغيرها كثيرا [5].

[1] ينظر عبد الحميد بورايو–الأدب الشعبي الجزائري – ص111.

[2] ينظر عبد الحميد بورايو–البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري– سحب الطباعة الشعبية للجيش– د ط2007 ،ص 41.

[3] المرجع نفسه ، ص 41–42.

[4] لقاء مع الراوي عبد الحميد قليدة–بيت الراوي–الذكار الإثنين 31أوت 2015–الساعة 08:33 صباحا.

[5] ينظر عبد الحميد بورايو–الأدب الشعبي الجزائري –ص114–115.

***العنصر الاعتقادي :**

تلعب المعتقدات دورا مهما في المغازي ،حيث تسيطر هذه الأفكار والقناعات والميول على ذهن الراوي والمتلقي لدرجة الإيمان بها، والاعتقاد يتمثل في عدة أشياء منها : ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام لإرشاد البطل وتوجيهه ومساعدته ،كذلك المعجزات التي تدفع بالكافر إلى الإيمان، كشفاء من مرض العضال بمسحة يد، أورد روح الحيوان ميت أو طائر، كما حدث في غزوة (الجدار) حين أسلمت (شعاع الشمس) حين رد عبدالله الروح لحمامتها المذبوحة، كما للاعتقاد بالجن أهمية كبيرة وهو عنصر هام يرتكز عليه أدب المغازي ،لتقف الملائكة بالمقابل وتساند المسلمين ،فهي الواسطة بين الله عز وجل والرسول الكريم، فتحمي الإمام علي وتساعده في مواجهته للعفريت وأبنائه ،و كذا تأثير العقيدة الإسلامية في المغازي واضح بشكل كبير، فقدمت الجن والملائكة على حسب طاعتها لله وموقفها منه، فمن أطاعه في صف الخير ومن عصاه يمثل الشر، ومن ذلك الشيطان[1].

***العنصر الواقعي:**

يتمثل العنصر الواقعي في إسقاط مضامين الرواية على الواقع، وحين كانت المغازي تروي إبان الاحتلال الفرنسي في الجزائر وكانت المعركة بين المسلمين والكفار في المغازي ،بطبيعة الحال سوف يقوم المتلقي بزحزحة الأحداث وتغيير أطرافها لتتجسد تلك المعارك من جديد بأبطال موجودين في الوقت الحالي جعل من حضورهم واقع يعيشه المتلقي ويؤمن به، فيكون الأبطال هم جيش المسلمين والاحتلال هم الكفار فأطلقت عليه عدة ألقاب منها: (الرومة) و(النصارى) و(الكفار) حتى أنهم جعلوهم يتحدثون اللغة الفرنسية ويلبسون ألبستهم ، (الفيسته) و(السروال بوطويل) وغيره، ويبقى الإسقاط ضمنيا حتى يحكي الراوي نثر يبين فيه صلة هذه الأمور بالواقع الذي يعيشه المتلقي حيث يختفي هذا الإسقاط وراء العنصر التاريخي[2].

[1] ينظر عبد الحميد بورايو-القصص الشعبي في منطقة بسكرة – ص 98.
[2] ينظر المرجع نفسه، ص116-117.

ج- شكلها:

تتميز المغازي بشكلها الخاص الذي يجعلها تختلف عن باقي أنواع أدب البطولة ،كونها تعتمد على القوة البدنية للبطل وهي ميزة في السيرة ، والقوة الروحية التي تغلب على قصص الأولياء ، فالمغازي جمعت بين الإثنين ناهيك عن المزج بين العالمين المعلوم والمجهول ،ثنائية الموت والحياة ، فبإمكان الأموات العودة بعد رحيلهم وتواجدهم مع الأحياء لدعمهم ومدهم بالقوة والشجاعة، كعودة الرسول صلى الله عليه وسلم إضافة إلى الأدوات السحرية والخوارق والمعجزات التي تعد في لون آخر كرامات ،هي صفة لصيفة بالولي إلا أن المغازي رغم هذا المزج – تفصل بين المعقول واللامعقول وبعيه رواتها جيدا ،كذلك المتلقي ،وقبل ذلك كله أبطالها ، وتتميز أيضا بمجموعة القصص والروايات المستقلة والمتشابكة والمتسلسلة التي تكون موضوعا موحدا وكاملا إن جمعناها معا.

*البناء الخيالي في شكل تاريخي:

يهتم الرواة بذكر تواريخ المعارك وزمن وقوعها ، فتحدد إذا كانت من عصر النبي أو الخلفاء الراشدين ،تهتم بذكر الأسماء بالتفصيل خاصة عائلة الإمام علي والحكام والصحابة ، تحدد المسافات ،قادة المعارك، تعداد الجيوش وحتى عدد القتلى ،كما تشير الاختلاف في الروايات ،مع أن هذه التواريخ ليست سوى قاعدة لبناء الحكاية الخيالي تتدخل فيه الخوارق وتلعب فيه دورا كبيرا ،كوصف البطل بقوة بدنية هائلة وأنه يقتل المئات بمفرده وسيفه يحصد رؤوس ألفين من الجنود بضربة واحدة ، كما تتدخل القوى الخارقة كالجن والمردة والملائكة . أيضا للكلمة مفعولها ،والآيات القرآنية لها سحرها و البسملة والرقى كأداة للشفاء[1].

[1] ينظر عبد الحميد بورايو-الأدب الشعبي الجزائري- ص102-103والقصص الشعبي في منطقة بسكرة- ص 85.

***الوحدة الملحمية:**

لكل غزوة بداية ووسط ونهاية فهي قصة مكتملة وفي نفس الوقت ترتبط بالقصص الأخرى من الغزوات بوحدة ملحمية ،فالمغازي وإن كانت تمثل مجموعة من المواقف البطولية ، يستقيل كل موقف عن الآخر بموضوعه إلا أنها ترتبط فيما بينها لتكون عملا بطوليا متكاملا ،بوحدة الأبطال والصيغ المتكررة فيها جميعا من وصف المعارك والجيشين المسلمين والعدو، الأسلحة المستعملة المادية والمعنوية[1].

***البطولة:**

ترتكز البطولة في المغازي على القوى الجسدية والمعنوية فالبطل يستمد شجاعته من عروبته وقوته الروحية من دفاعه عن الحق وشعوره أنه مسؤول ومكلف من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو أحد خلفائه ويكون الله في عونه دائما ،وليس بالضرورة ان يظهر العون الإلهي فقد يكون خفيا غير ظاهر أي معنويا ، يتمثل أحيانا في كلمة (الله) أو البسملة أو آيات قرآنية ، أورقية ، ويتمثل أحيانا في قميص للنبي يرتديه الإمام حين يصارع التنين ،أو في وآية الكرسي التي تقرأ لطي الأرض وقطع المسافة طويلة في وقت قصير تتمثل أيضا في أشياء ملموسة أخرى مثل السيف والحصان فهما يتسعان بقوى خارقة للعادة كذلك القوى التنبئية للرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- حيث يساعد الأبطال ويوجههم في حروبهم فيقوم طيفه الذي يظهر في المنام مقام شخصه بعد وفاته بالمساعدة والمساندة والدعم[2].

***العالم المزدوج (المعلوم والمجهول) :**

تلعب الخوارق والمعجزات دورا هاما في المغازي إلا أنها لا تلغي العالم الواقعي المستمد من التاريخ وإنما يضفي عليه لمسة فنية تجعل من الصورة أكثر جمالا وقبولا ،كما تظل تخضع للمنطق الإنساني ،

[1] ينظر عبد الحميد بورايو- القصص الشعبي في منطقة بسكرة- ص86-87.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص105-106.

حيث ترتبط بالمكان والزمان ،وإذا كانت هناك واقعة تتجاوز العقل البشري فإن المغازي تنسبها إلى قوى غير بشرية وتأخذها على أنها معجزة من الله والرسول – صلى الله عليه وسلم.

كما تعي الشخوص الحدود والفوارق بينهما وبين هذه القوى سوء كانت عادية أو غير عادية، أومن غير طبيعتها ،ورغم هذا المزيج بين ما هو واقعي وما هو خيالي ،كتحول المسلمين إلى طيور تحلق في السماء وتقطع مسافة طويلة في وقت قصير ،ثم عودتهم إلى طبيعتهم إلا أن هناك دائما حدا فاصلا بين العالم المعلوم والعالم المجهول تعيه الشخوص المغازي وتنصرف على حسبه ،ويعيه المتلقي ويدرك ضرورة التعامل مع العالم الآخر أو المزج بين العالمين [1].

***الشخوص:**

نضع المغازي حدودا بين العالمين (المعلوم والمجهول) وترسم الإطار الطبيعي المناسب للشخوص، وهي ذات أوصاف وملامح محددة لها عمق داخلي ،جادة ،تعيش حياة عادية كباقي الأشخاص، لهم مطالب في الحياة واتجاهات وقناعات ،لهم رؤية تخصهم ومشاعر تحتضنهم ، لتسجل بعض المغازي قصصهم فتكون قصص الحب مصدرها الإعجاب بالأخلاق والقوة والشجاعة ،كما تصور الحقد الدفين اتجاه بعض الاشخاص ومشاعر الغدر والانتقام، فهي ردود أفعال تصدر من الأشخاص عن الخلفية نفسية ، وبواعث طبيعية تضخمها الرواية الشعبية، وتركز على تفصليها وتبرزها بشكل مبالغ فيه لكنها لا تفصل عن الواقع وتتوارى خلف النفس البشرية [2].

كما تجسد شخصية البطل نموذج الانسان الذي ينزع للكمال أو يتصف به ، فتجلب أوصافه وصفاته الانتباه ،وتكون مدعاة للفخر ومحلا للإعجاب ،يتعلق بها المتلقي كونها تشبع حاجته

[1] ينظر عبد الحميد بورايو-الأدب الشعبي الجزائري –ص107والبطل الملحمي والبطل الضحية- ص 37-38 والقصص الشعبي في منطقة بسكرة- ص89.

[2] ينظر عبد الحميد بورايو-الأدب الشعبي الجزائري –ص108 والقصص الشعبي في منطقة بسكرة- ص 90.

النفسية، إذا أنه من خلال الصراع القائم بين المسلمين والكفرة في المغازي تتجسد له صراعه مع المحتل الغاصب ،فيضع نفسه مكان البطل ،ويرغب في أن يكون مثله .

كما يقف وراء المسلمين قوة المبادئ الإسلامية من نشر الخير وزرع المحبة والسلام ،أما الكفرة فهدفهم الحفاظ على السيادة والحكم والسعي وراء الأطماع والمصالح الشخصية [1].

إذا فالمغازي تعطينا الصورة الحقيقية للصراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل ،وبين المبادئ السليمة والمبادئ الخاطئة ،بين النوايا الحسنة والنوايا السيئة، بين المسلمين رافعوا راية الجهاد والدفاع عن الحق وبين الكفرة الذين دفعتهم أطماعهم وسعيهم وراء الحكم والسلطة ليدخل في هذا الصراع أبطال يتميزون بالقوة والشهامة تدعمهم قوة خارقة إلاهية وروحية، كما يدعم الجانب الآخر من طرف السحرة والعرافين ، فيمتزج الواقع بالخيال توضع لها حدودا فاصلة لا يتيه فيها السامع ويستطيع التمييز والإدراك أنها ليست واقعا وإنما شيء استدعته الضرورة ، والأجمل ان ينتصر الحق دائما في الأخير، ويبهت الكافر وأحيانا يعلن إسلامه لما ظهر من قوة الإسلام وعظمة برهانه، وبيان حقيقته.

2- قصص الأولياء:

قبل التفصيل في قصص الأولياء يجدر بنا التلميح إلى مفهوم المصطلحين في البداية، حيث نجد كلمة (قصص) في اللغة بمعنى الخبر المقصوص.

قِصص: مجموع قصة، والقصة من القَص: وهو فعل القاص إذا قص القصص، يقال في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام.[2]

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[3]، معناها نبين لك أحسن البيان، والقصة: الخبر وهو القصص أي

[1] ينظر عبد الحميد بورايو- البطل الملحمي والبطل الضحية- ص 39.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، ص 73.

[3] سورة يوسف، الآية رقم (03).

الخبر المقصوص والقصص: جمع القصة التي تكتب.[1]

والقصة: الحديث والشأن وهي حكاية تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معًا.[2]

هذا في اللغة أمّا في الاصطلاح فهي: "شكل نثري مستمد من حياة الناس العامة الاجتماعية وسواها بكل امتداداتها، فهي (حكاية) متطورة تروي حدثًا ناميًا أو موقفًا ثابتًا أو متطورًا، تتحرك فيه شخصيات غالبًا ما تتقدمها شخصية بارزة متميزة، تنهض بالبطولة في مسار الحدث".[3]

فالقصة لا تكون شعرًا تستمد أحداثها من حياة العامة تتطور أحداثها وتتغير، تعتمد على شخصيات هي من تدير الأحداث وأحيانًا تتقدم شخصية معينة وتبرز عن باقي الشخصيات الأخرى حيث تتبنى هي البطولة وتتحكم في أحداث القصة.

إذن فالقصة هي خبر يكتب على شكل حكاية نثرية تستمد من الواقع أو الخيال وأحيانًا يمزج بينهما، تروي حدثًا بارزًا يدور حول شخصية مميزة يسند لها دور البطولة دونًا عن غيرها من الشخصيات.

أمّا الأولياء فهي مجموع لفظ ولي، والولي اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه النصير، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، والولاية: النصرة.[4]

والولي: كل من ولي أمرًا وقام به، وهو أيضًا النصير، ويقال: المؤمن ولي الله، وجمعه أولياء.[5]

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[6].

بين الله عزّ وجلّ في الآية الكريمة صفة الأولياء ولم ينسب إليهم أعمالاً خارقة للعادة.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مج7، مادة (قصص)، ص 73.

(2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ص 496.

(3) ينظر عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخًا .. وأنواعًا وقضايا .. وأعلامًا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 163.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ص 406-407.

(5) مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ص 665.

(6) سورة يونس، الآية رقم (62-63).

فالأولياء أناس صالحون قريبون من الله عزّ وجلّ خصّهم سبحانه وتعالى ببعض الكرامات، وميّزهم بها عن سائر البشر لقربهم منه ولصلاحهم وتقاهم.[1]

والكرامة ميزة يمتاز بها الأولياء والكرامة في اللغة جاءت تحت مادة (كرم) والكريم اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته وهو: الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، كذلك هو: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والكرامة اسم يوضع للإكرام.[2]

والكرامة: الأمر الخارق للعادة يظهره الله على أيدي أوليائه.[3]

وفي الاصطلاح هي "أمر خارق للعادة يجريها الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة معونة له على أمر ديني أو دنيوي".[4]

فهي أمر غير مألوف بتأييد من الله تعالى لأوليائه الذين ميزهم عن باقي البشر دون تكليف بالنبوة أو الرسالة. فهم أقل رتبة من الأنبياء الذين خصهم بالمعجزات، وقد صنف الباحث أبوبكر الجزائري الأولياء إلى أربعة مراتب، والأولياء هم الذين تقربوا من الله بأفعالهم فتحصلوا على التأييد والقدسية وهذه المراتب هي:

- **مرتبة عليا:** وهي مرتبة الأنبياء والمرسلين.
- **مرتبة عالية:** وهي مرتبة السابقين والمقربين من أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام.
- **مرتبة وسطى:** وأهلها هم أهل الإيمان والتقوى.
- **مرتبة دنيا:** وهي مرتبة أهل الضعف في الإيمان والتقوى، وهم الظالمون لأنفسهم.[5]

نقول أن الأولياء رجال مقربون إلى الله لديهم القدرة على الاتصال به دون عن غيرهم ولهم

---

[1] ملتقى الأمازيغ، القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، د.ط، 2011، ص 188.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مج12، مادة (كرم)، ص 510-512.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ص 523.

[4] ينظر محمد أحمد لوح، تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، ج2، دار ابن القيم، دار بن عفان، مصر، ط1، 2002، ص 279.

[5] ملتقى الأمازيغ، القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، ص 188، 189.

أعمال خارقة مؤيدون بها تسمى الكرامات.[1]

وتدور حولهم روايات وقصص يرويها القاص في التجمعات والأسواق بعد أن كانت لا تتعدى حلقات المريدين والزوايا، تحكي بطولة الولي وأعماله.

والإنسان القديم عبر عن أفكار تشغله ومنها فكرة الخير من خلال الأسطورة والحكاية الخرافية، فكان للخير الغلبة دائمًا وهو المنتصر في الأخير، كما جسد فكرة الخير في قصص الأولياء، وكانت تختلف عن منظور الأسطورة والحكاية الخرافية، فتجسد الخير في الأسطورة من خلال الآلهة أي خارج ذات الإنسان، ونجده في الحكاية الخرافية بطل من ورق لا يستطيع الإنسان التشبه به وإتباعه فهو فاقد للعمق الإنساني.[2]

وتبقى لقصص الأولياء النصيب الأوفر في تجسيد النموذج الصالح للاحتذاء وتصلح أعماله أن تكون هدفًا للرواة حتّى تروى حكاياته كونها تتسم بالفضيلة والبطولة في نفس الوقت، وتتحقق له الولاية بالعمل الصالح المتبوع بالكرامة.[3]

ومن أسباب ازدهار هذا النمط من القصص الطرق الصوفية التي تهيئ المناخ المناسب لظهور عقيدة الولاية وانتشارها.[4]

وقد بدأت الطرق الصوفية تظهر في الجزائر بداية القرن الحادي عشر الميلادي، ومن الأرجح أن معظم هذه القصص انتشرت في الأماكن الخاصة بتجمعات أصحاب الطرق ومجالس الجماعات الصوفية، من أقطاب التصوف المشهورين وأتباعهم، كطقس من الطقوس التي تؤدى في حضرة (الولي) حيث تنشد النصوص المنظومة على شكل مدائح في مثل هذه الحضرات.[5]

---

[1] عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 22.

[2] عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 126.

[3] المرجع نفسه، ص 127.

[4] ينظر عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 107.

[5] ينظر عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 127.

وقد انتشرت المدائح عن طريق دعاة الطرق الدينية من أفراد الجماعات إلى الأوساط الشعبية، كذلك عن طريق الدعاة المحترفين الذين هم بطبيعة الحال لهم انتماءاتهم وأغراضهم لنشر هذه المدائح الخاصة وبث كرامات الأقطاب، أقطاب التصوف.[1]

أنواع قصص الأولياء:

لقصص الأولياء نوعين فرعين: قصص نسجت حول أقطاب المتصوفة وكراماتهم مثل: (عبد القادر الجيلاني) و(أحمد التجاني)، وقصص محلية تروي حكايات أولياء محليين لا تتعدى شهرتهم القرية أو المدينة.

أولاً: قصص كرامات أقطاب المتصوفة

يحظى هذا النوع بالمكانة التالية مباشرة بعد المغازي ولا تقل أهمية عنها، فالرواة المحترفين الذين يرتادون الأسواق والساحات العامة والمقاهي، في شتى المناسبات، يؤدى بعضًا من هذا القصص نثرًا والبعض شعرًا، ويهتم الرواة بهذا النوع أكثر من الآخر كون الرواة المحترفين دائمي التنقل فيفضلون رواية قصص الأولياء الذين تعدت شهرتهم البلدة أو القرية، ولديهم مريدين في كل مكان، كما يعتمد في ترويج حكاياته على الاعتقاد السائد بين الناس في الولاية فينادي أتباع الشيخ أو مريديه فيقول مثلاً قبل بداية روايته: (أين خدّام سيدي عبد القادر ...؟) أو (أين عشاق سيدي عبد القادر ؟) وأحيانًا تروى بطلب من أحد المريدين.[2]

وتتميز هذه القصص بمستوى فني جيّد تفوق القصص المحلية من حيث إحكام البناء والصنعة الفنية، نظرًا لإتقان الرواة لهذا النوع، وقد تميز "الشيخ بن تواتي" في صحراء الجزائر بهذا النوع من القصص عن "الشيخ عبد القادر الجيلاني" وترك تراثًا هامًا تداوله الرواة من بعده.[3]

---

[1] ينظر عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري ، ص 127.

[2] ينظر المرجع نفسه، ص 109.

[3] ينظر عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 128.

ثانيًا: قصص الأولياء المحليين

تميز هذا اللون بقصص محلية لأولياء لم تتعدى شهرتهم المنطقة أو القرية أو حتّى المدينة التي يوجد بها ضريح الولي، وهي حكايات قصيرة تتناول كرامات هؤلاء الأولياء يحفظها أهل القرية وتروى للغرباء والزائرين وهم يفخرون بها كتراث لهم.[1]

ومن بين الأولياء المحليين الذين لم تتعدى شهرتهم المنطقة أو البلدة "علي بن خزان"[*]، و"بن دويم"[**] وغيرهم حيث رويت لهم قصص وحكايات وكرامات عدّة.

لكنهم ليسوا أصحاب طرق دينية، لذلك لم يكن هناك من داع لكسب المزيد من الأتباع والمريدين، ولكنهم اشتهروا بحكمتهم ومواهبهم الخاصة والاستقامة والسلوك الحسن والورع والتقى، وهذه ميزات لا تنتشر عند الكثير ممن كان تعليمهم متواضع وثقافتهم بسيطة فاستحالت عليهم كثيرًا من الأمور وصعب حلها فلجأوا إلى أصحاب القرار والحكمة فوجدوا الحل والصواب، فكبروا في أعينهم وتعلقت بهم أذهانهم كتعلق الغريب بمنقذه.

وقصص الأولياء مثلها مثل قصص المغازي لم تروى عبثًا أو لمجرد التسلية، ولكن بعد أن كانت تؤدي وظيفة عقيدية وهي تروى داخل الزوايا، أصبحت بخروجها إلى الأسواق والمقاهي والتجمعات الشعبية لها وظائف أخرى غير العقيدية، فهي تروي معاناة الشعب مع الاستعمار وتحكي آماله في التخلص من هذه المعاناة، ورغبته في تجاوز الظلم ورفع البؤس والشقاء عنهم، وجعلت معجزات الأولياء تقوم بالكشف عن الضّر ومساعدة البائسين والفقراء، ورفع الظلم عن المظلومين وردّ الحقوق المغتصبة.[2]

---

[1] ينظر عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 28، والقصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 110.

[*] علي بن خزان (1646م، 1705م) معروف في منطقة الدبيلة وضواحيها حيث هو من أسسها، ومعظم سكانها من نسله، يعود نسبه إلى إدريس الأصغر من نسل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تقام له الزيارة في منتصف الخريف من كل سنة.

[**] بن دويم، ولي صالح أسس الزاوية الموجودة في شرق الطالب العربي وفيها ضريحه، هو من عرش الربايع، تقام له زيارة كل ربيع.

[2] ينظر عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 129-130.

إذن فقصص الأولياء هي قصص بطولية يملؤها الاعتقاد أبطالها الأولياء يجسدون النموذج المثالي الذي يحلم به الإنسان كون الولي في نظرهم بطل بكراماته ومعجزاته، فتتجسد البطولة الروحي وتتلاشى البطولة الجسدية التي تعتمد على القوة البدنية، أمّا الروحية قوة العقل والدين والفكر وقوة الرابط بين الولي وربه وبين الولي ومريده، فهي نوع آخر من البطولة لا يعتمد عن وسائل حرب ولا أسلحة ولكن عن قوة العقل والتأييد الرباني الذي يوجد أيضًا في قصص المغازي.

3- قصص البطولة البدوية (السيرة الشعبية):

أدب السيرة الشعبية نوع آخر من أنواع أدب البطولة، وتعود نشأته إلى وقت إدراك الإنسان لذاته وظهوره كبطل، حيث بدأت البطولة تسحب من الآلهة وأوكلت إلى البشر، لكن ليس بشكل تام فقد كان الإنسان البطل حيزًا يمارس فيه بطولته، فكانت البطولة الملحمية التي أثبتت وجوده وإمكانية فاعليته وقوته ككائن بشري خارج حيّز الآلهة.[1]

وتمثل السيرة حلقة وصل بين الماضي والحاضر، تمجد الحضارة والتاريخ، يوهم الرواة المستمعين بحقيقة وقائعها وثبوتها بالتاريخ، فهم يعتمدون على قاعدة تاريخية حقيقية ويبنون عليها أحداثًا صانعة للتاريخ وموجهة لهم تغيِّر مصائرهم وتبدل قراراتهم أحيانًا.[2]

وأدب السيرة يلقى شعرًا ونثرًا معًا، تتدخل فيه القوى الغيبية لمناصرة البطل وأحيانًا لمحاربته.[3]

وعرفت السيرة في مناطق الجزائر منذ القرن الحادي عشر الميدلاي، حيث استقرت قبائل بني هلال، ولا تزال ذاكرة الرواة تحتفظ برواة السير الذين يتجولون في ليالي الصيف ويتوسطون حلقات سكان القرية ومضارب الخيام لينشدوا قصصًا عن هجرة الهلاليين من المشرق إلى المغرب واستقرارهم في شمال إفريقيا.[4]

---

[1] ينظر عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية، ص 46.

[2] المرجع نفسه، ص 46.

[3] ينظر عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية، ص 47.

[4] ينظر عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 120.

وكانوا البدو يحتفون كثيرًا بالسيرة ورواتها حيث يقومون باستضافة الراوي المحترف لمدة طويلة في مضاربهم، ويفتتحون روايتها بطقوس خاصة، كذبح شاة واجتماع سكان الحي للعشاء معًا في نفس البيت الذي يستضيف الراوي، ويفعلون كذلك عند انتهائها، حيث تقدم الرواية أثناء سمرهم، فتروى مجزأة إلى عدّة حلقات تُؤدى كل ليلة واحدة منها.[1]

ورغم أنّه لا يوجد تحديد الوقت انقطاع ممارسة هذا التقليد إلاّ أنّه الأقرب نهاية القرن الماضي ومستهل هذا القرن كبداية لتراجع روايات السيرة واختفائها كروايات مكتملة، لتبقى تروى كمجموعة من الأقاصيص كل قصة مستقلة عن الأخرى، وهذا ناتج عن التغيير الذي طرأ في المجتمع الشعبي الذي بدأ يتجه نحو الاستقرار فلم يعد للسيرة دور وظيفي أو أهمية كالسابق، كذلك اندماج الهلاليين في السكان الأصليين للمغرب واختلاط أنسابهم، وتعرضهم للخطر لأجنبي جميعًا، دفع بالصراعات القبلية إلى مواقع متأخرة.[2]

كل هذا فتح مجالاً لأنواع أخرى حتّى تطفو على السطح، وكانت السيرة منطلقًا لها كالمغازي مثلاً.

وقد عرفنا العديد من السير منها: سيرة عنترة، والظاهر بيبرس، وسيرة الأميرة ذات الهمّة، سيف بن ذي يزن ... وغيرها.

وأبطال السيرة بدو يعيشون في الصحراء كانوا رحُلاً يعانون المشاق ويكابدون تعب الطريق بحثًا عن المرعى ومواطن الكلأ وبحثًا عن الحياة والاستقرار في تلك الصحراء الشاسعة تخبر عنهم مغامراتهم وبطولاتهم وتلك الصراعات التي عرفتها القبائل آنذاك فخطوا بطولة وحكايات تروى من جيل لجيل تاركين بصمتهم وأثرهم أينما حلّوا قصصًا وبطولة وحكايات جميلة.

---

[1] ينظر عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 120-121.

[2] ينظر عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص 101-102.

والبطل الذي سوف نتكلم عنه ذلك البطل التاريخي العظيم الذي ولد في زمن مضى وترك أثره في نفوس الشعب والمستمعين للروايات القديمة، وقد أبهر رواة القصص الشعبية، فجعلوه بطلاً مثاليًا ورمزًا للشجاعة والمروءة وحاكوا حوله القصص لأنّه لم يكن بطلاً من ورق، ولا بطلاً خرافيًا وهميًا ولا بطلاً عاديًا مثلهم إنّه من يصنع البطولة بذكائه وفطنته، بقوته ورجاحة عقله، بكرمه وعطفه على المحتاج، بصلابته في المواقف المؤلمة، بتغلبه على نفسه وكبتها ودفع غرائزه بعيدًا، ببسالته في الحرب وعظمته في السلم.

ولم يكتف الراوي بذلك بل أضاف إليه من عنده ميولات وأماني وطموحات يشعر بها في نفسه ويراها ويلمسها في عيون المتلقي الذي له نفس الرغبات والميول، ذلك البطل الذي يحلم به الشعب في وقته العصيب، البطل الذي بوجوده تنجلي كثيرًا من الهموم وترسم آمالاً في حضوره ليخلص المظلوم من ظلمه ويبعث النور فيهم والأمل، ذلك البطل الغائب في الأصل الحاضر في ذهن الراوي والجماعة المتلقية.

فكيف يتم حضوره ؟ وبأي صورة يحضر بعد غيابه ؟ وما دواعي الحضور وإلغاء الغياب ؟

الفصل الثاني

الحضور والغياب

في فن المغازي وقصص الأولياء

1- الحضور والغياب في فن المغازي

2- الحضور والغياب في قصص الأولياء

تمهيـــد:

تعد ثنائية الحضور والغياب من أشكال التفكير الإنساني، وهي تنعكس على طبيعة العلاقة التواصلية بين الأنا والآخر، تلك العلاقة تستلزم وسيطا يشكل حلقة التوصيل بين طرفيها، والوسيط عادة تمثله الرسالة بأشكالها كافة، التي تحمل الحضور والغياب معا، ويتمثل الحضور بما هو مدرك حسي أو عياني، فيما الغياب يتمثل بغير المدرك المعنوي الذي يفكر فيه المتلقي، ويحدد له صورة ذهنية، تلك الصورة تكون شارحة للحضور بما ليس فيه، ومفارقة للدلالة التي يخزنها، ذلك أن كل ما يتعامل به البشر يندرج وفق محوري الحضور والغياب بين الظاهر المباشر ويمثل علاقات شكل وبزمن خطي، وبين الباطن الذي يستر طبقات المعنى المفترضة.[1]

فالحضور هنا لفظ أو دال والغياب معنى أو مدلول وهذا ما قاله "دي سوسير" الدال يمثل الحضور (حضور مادي) والمدلول يمثل غيابا (غياب مادي ولكنه حضور معنوي)[2] فالكلمة حاضرة والمعنى غائب أو مؤجل.

والحضور والغياب مصطلحين متضادين فحضر من الحضور: نقيض الغياب والغيبة،[3] والحاضر غير الغائب، وحضر الغائب قدم[4].

فالمصطلحان لا يجتمعان كون الأول نقيض الثاني، فالحضور يلغي الغياب، والغياب يلغي الحضور فما هو حال الشيء بين الأمرين؟. بالطبيعة لن يحضر كما هو، فإذا حضرت شخصية ما بعد غياب فلن يكون حضورها كاملا أو كما هو معروف عنها من قبل.

فالحضور بعد الغياب له دوافع وحتميات، وله شكل آخر تكون عليه الشخصية الغائبة المستدعاة من زمن غير الزمن، ومن بيئة غير البيئة، فهل يكون حضورها فاعليا؟ وما هي مدى فاعليتها؟

---

[1] ماهر الكتيباني. ثنائية الحضور والغياب في التفكير المسرحي. مقالات 2012/09/23. مركز النور.

[2] حسين خمري. الظاهرة السعرية العربية ـ الحضور والغياب ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001. ص15.

[3] ابن منظور. لسان العرب. مجلد4 ـ مادة حضر ـ ص196.

[4] مجمع اللغة العربية. المعجم الوجيز. ص163 ـ 164.

الحضور والغياب

في فن المغازي

فن المغازي شكل من أشكال الأدب البطولي يهتم بتدوين الملاحم البطولية التي صنعها البطل العربي، فصارت جزءا من تاريخه الثقافي، واحتلّت مكانة مهمّة في الذاكرة الشعبية، وقد اتسم هذا الفن القصصي بالرواية الشفوية ثم بدأ بتدوينه أبّان بن عثمان، وابن إسحاق الواقدي[1].

وقد حصلت المغازي على مكانة كبيرة في الأدب الشعبي الجزائري ونظرا لاهتمام الرواة بهذا الفن فقد ازدهر بشكل ملحوظ مما جعل الاستعمار يوليه اهتماما، ويبحث في أغواره، وتمكّن من كشف تلك العلاقة الخفية بين الراوي والمستمع، بحيث كان الروّاة يحفزون المستمعين برواياتهم لقصص البطولة ويدفعونهم للدفاع عن الوطن والأرض والدين، حينما حاول منع الروّاة من ممارسة هذا الفن في الأسواق والتجّمعات لما له من تأثير على الأذهان، لأن الراوي يستحضر تلك الشخصيات التاريخية ويحاول إعادتها من جديد في ثوب آخر تحيط بها الخوارق والمعجزات، حتى يبهر السامع ويَشُدُّهُ إليه فيستطيع أن يوصل فكرته بسهولة وتحمل الشخصية البطلة أحيانا كل ملامح البطولة من جسدية وروحية، تتصف بكل القيم النبيلة والمبادئ، والمثل العليا.

فما هي هذه الملامح التي حملتها شخصية المغازي البطلة؟ وفيما تمثلت؟ وماذا يهدف راوي المغازي من استحضار الشخصية البطلة وإعادة دمجها في المجتمع؟

قصة فضلون العابد*

تروي هذه القصة حكاية الفضل مع امرأة شابة حاولت الإيقاع به بشتّى الطرق لكنه لم يستسلم، رغم الظلم الذي شهده، والعذاب الذي تعرّض له. وبما أنّه ابن عمِّ الرسول ﷺ فقد وصّى عليه النبيّ، علي بن أبي طالب فكان في المستوى وجاء في الأخير وأنقذه.

[1] العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري– المقدّمة.

* قصص الأنبياء والزهاد روايات شعبية حملها المداحون إلى جانب المغازي وقصص أقطاب الصوفية، ويضمها الروّاة المحترفون للمغازي، وقد أخذناها عن الراوي على أنها قصص من قصص المغازي.

وسوف نحاول أن نذكر الخطوط العريضة للقصة نظرًا لطولها:[1]

- وصيّة الرسول ﷺ لعلي عن الفضل بن عمه العبّاس وتحذيره من حذيفة بنت النجّار.
- عرض حذيفة الزواج عن الفضل أو العصيان.
- رفض الفضل لعرضها يضعه في مشاكل فاتهمته بالسرقة والقتل والزّنى معها.
- ثبوت التهم على الفضل بمساعدة الخادمة والوصيف.
- شهادة الحجاج ضدّ الفضل أمام عمر بن الخطّاب.
- محاولة عقوبة الفضل وإقامة الحدّ عليه.
- رؤية علي للفضل التي جعلته يحضر في لمح البصر لمعرفة القضية.
- استدعاء علي لحذيفة لمحاولة كشف الحقيقة.
- الاستعانة بعصا الرسول ﷺ التي ورثها عن موسى.
- ظهور المعجزات على يد علي فنطق الصّبي وأشار إلى والده الحقيقي.
- براءة الفضل من التهمة، وبراءة الحجّاج من شهادة الزور.
- الحكم على حذيفة بعد ولادتها بالقتل رجمًا أو جلدًا.
- ظهور الحق وانتصاره وطمس الباطل رغم موت الضحيّة.

تحليل القصة:

- حاول الراوي هنا أن يبيّن لنا مدى تمسّك الفضل بدينه ومبادئه رغم مغريات حذيفة بنت النجّار فهي امرأة شابة عرضت عليه مالها وجمالها، وكل ما تملك مقابل الزواج منها أو حتى العصيان كما يقول الراوي، لكنه رفض وتمسّك برأيه، حاولت إيقاعه بشتى الوسائل وكل الطرق ولم تدّخر جهدا ولا فكرة إلا ونفذتها، فما كان منه إلاّ الرّفض، اتّهمته بالسرقة ثم القتل والزّنى معها. حتى أنّ جميع الحجّاج شهدوا ضدّه وتحمّل العقوبة على أن يستسلم لها، ليأتي في الأخير –الامام علي– ويخلّصه من مكرها

[1] لقاء مع الراوي عبد الحميد قليدة، بيت الراوي– الذكار، الاثنين 31 أوت 2015 على الساعة 8 و30 صباحا.

بكشف الحقيقة. وقد أيّده الله بمعجزات عدّة منها طيُّ الطريق، سرعة حصانه السرحان، عصا الرسول عليه السلام، وكلام الجنين في بطن أمّه، ونلاحظ هنا استحضار العديد من الوقائع والأحداث التي كانت تحفظها الأذهان ومنها عصا موسى، وقد ذكرت معجزاتها في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1] وقوله عزّ وجل: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [2].

فقد بيّن الله سبحانه وتعالى ومعجزات عصا موسى عليه السلام وقد استخدمت هنا العصا لوجودها فعلا في تاريخ الأنبياء.

كما أنطق الصّبي وكان قد سبق وحدث في تاريخ البشرية حيث نطق المسيح عليه السلام وهو في المهد صبيّا، قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [3].

فكلام الجنين في بطن أمه معجزة، وقد استدل الراوي هنا بمعجزة عيسى عليه السلام الذي دافع عن والدته وبرّأها أمام قومها لكن التناقض هنا هو إدانة والدته ودرأ الظلم عن المظلوم.

- كما أنّه جعل من قصّة الفضل قصّة تتناص مع حكاية سيدنا يوسف عليه السلام، الذي راودته امرأة العزيز ورغم سلطتها وجمالها إلاّ أنه استعصم وأبى أن ينصاع لأمرها، وفضل السجن على ما تدعوه إليه. وهذا مسندا واقعيا آخر للراوي في قصته قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن

[1] سورة الشعراء، الآية رقم 45.
[2] سورة البقرة، الآية رقم 60.
[3] سورة مريم، الآية رقم 29-30.

نَفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] وقال أيضا: ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

فكانت القصة مزيجا من حكايات الأنبياء ومعجزاتهم التي أيد الله بها الإمام علي الذي تجسدت الشخصية البطلة في صورته.

فعندما حضرت شخصية البطل كمخلّص للمظلوم كان حضورها عجائبيًّا، ودعمت من الله بالآيات القرآنية والمعجزات.

فالراوي هنا لم يجسّد لنا قوّة الإمام الجسديّة فقد غاب هذا الجانب عن السرد واكتفى بذكر بطولته الروحية والتي حضرت بشكل كبير وواضح فاستطاع في الأخير بحكمته وعدله أن ينقذ المظلوم ويخلّصه من الهلاك واستطاع كشف الحقيقة التي عجز عن إيجادها الباقون.

أراد الراوي هنا أن يرسل رسالة إلى المستمع بأنه عليه بالتمسّك بدينه رغم كل المغريات. وألاّ يتخلّى عن أخلاقه ومبادئه التي تربّى عنها، وأن الظلم لا يدوم مادام وراءه من يدافع عن الحق، ويقيم العدل، وأن هناك دائما وميضا من الأمل وباعثا للحياة، والحق ينتصر في الأخير بكل الأشكال.

فالمغازي تروى في عهد الاستعمار الذي كان يحاول طمس الهوية الجزائرية، ومحو تعاليم الدين الإسلامي، عن طريق نشر المسيحية وتعليم اللغة الفرنسية بدل العربية، فكان دور المغازي إرسال هذه الرسائل التنبيهية حتى يشعر الجزائري بقيمة دينه ولغته، وضرورة الدفاع عن مبادئه وعن أفكاره، وتقوم

[1] سورة يوسف، الآية رقم 23.

[2] سورة يوسف، الآية رقم 32-33.

أيضا المغازي من خلال حكاياتها بتحفيز الشعب ودفعه للمحافظة على حقوقه وحمايتها، وتطمئنه أن الحق ينتصر بقوة الإيمان مهما قوي الظلم واشتّد.

وتستطيع أن تقول أنّ البطل هنا حاضر بقوة فالمعروف عن الإمام علي قوته وحكمته وعدله، حيث لمسنا كل هذا في هذه القصّة وأن الإمام جَسّد صورة البطل الملحمي بشكل مختلف فالصورة الجديدة التي اكتسبها تتفق مع بطل المغازي من جانب تأييده بالخوارق والمعجزات وتختلف معه كونها لم تركز عن البطولة الجسدية واكتفت بتصوير الجانب الروحي للإمام علي. فهذه الصورة الجديدة تجلت في البطولة الروحية فقط التي عرف بها الأولياء دونا عن غيرهم.

فالصورة الأولى التي عرف بها الإمام علي قد غابت وحضرت مكانها صورة أخرى جعلته بطلا مؤيدا بالكرامات والمعجزات تختلف عن البطولة البشرية وتقترب من صورة الإله المحاط دائما بالخوارق.

غزوة وادي السيسبان

تقسم الرواية إلى نقاط ونذكر العناوين أو الأحداث الأكثر أهمية والتي تلخص لنا الغزوة بكاملها:

- تنكر عمر بن الخطاب في زي شاعر للتجسّس على الملك الغطريف.
- معرفة سر تعسكره وتجهيزه للجنود.
- كشف أمر عمر وإلقاء اقبض عليه من طرف جنود الغطريف.
- وصول خبر الغطريف للرسول –صلى الله عليه وسلم– عن طريق جبريل ثم عمر بن أميّة الضمري.
- خروج النبيّ — صلى الله عليه وسلم– وكل من في المدينة لمواجهة الغطريف وجنوده.
- ترك فاطمة الزهراء وابنيها الحسن والحسين في المدينة.
- الغطريف يحاول كسب المعركة للحصول على حسنة بنت الضغيم.
- استنجاد الرسول ﷺ بعلي بن أبي طالب.
- استجابة علي للنّداء والاستعداد للمعركة.

- تغلّب السيد علي على فرسان الغطريف.
- مواجهة علي للغطريف والقبض عليه وتسليمه للرسول –صلى الله عليه وسلم–.
- قتل الغطريف بسيف الإمام علي لعدم دخوله في الإسلام.
- إسلام حسنة بنت الملك الضيغم على يد الرسول الكريم وزواجها من عمر.
- فوز المسلمين وتغليبهم على قوم الغطريف وحصولهم على الغنائم والجزية من الذين لم يسلموا بعد[1].

تحليل الغزوة:

ذكر الراوي محاولة الغطريف التخلّص من الرسول ﷺ وابن عمه علي، كمهر لحسنة بنت الملك الضغيم التي تحاول الانتقام منهما لقتلهما والدها، ولكن الأمر يكشف ويحاول الرسول الاستنجاد بعلي الذي يطوي الطريق طيا بحصانه السرحان ويصل إليه في لمح البصر ملبيّا النداء، يتغلّب عن الفارس الذي تضاهي قوته أربعين رجلا، ثم يواجه الغطريف ويتفوق عليه، ثم يلقي عليه القبض ويسلمه للرسول.

–صلى الله عليه وسلم– الذي يحاول أن يدخله الإسلام لكنه رفض لكبره وجبروته، فقتل بسيف الإمام علي، ثم تسلم حسنة وتتزوج بعمر فيما يبقى الآخرون يدفعون الجزية لقاء حمايتهم.

صوّر الراوي هنا الإمام علي محاربا بطلا وشجاعا لإيهاب أحد، قويّا كعادته، تحيط به المعجزات والخوارق كأي بطل للمغازي، يهابه القوي والضعيف، تعادل قوته جيشا بأكمله، أما الصفات الخارجية فهي تغيب دائما، فلا يصف ملامحه ولا شكله الخارجي، ويكتفي بذكر الصفات الداخلية التي تتجسد في القوة والشجاعة.

[1] سعيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات،دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2012، ص 234. / العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، ص 462-468.

ولم تكن الصورة الجديدة للبطل بعيدة عن صورته الحقيقية ولم يكن هناك غيابا للشخصية بقدر حضورها ولم يضف لها إلا بعض الخوارق لجذب القارئ وشدّه إلى القصة.

وقد حاول الراوي من خلال قصته إبهار السامع بقوة علي وبطولته وشجاعته، وهو يبين له كيف كانت حماية الله للرسول الكريم وللإمام علي من غدر الغطريف، ليثبت الراوي مرة أخرى أن الظلم لا مكان له، وأن الحقّ ينتصر، ومن يتّق الله يرعاه بفضله ويحميه. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥ ﴾[1].

يظهر الإمام علي الرجل الفذ والمجاهد الوحيد الذي يقدر على نجاة الأمة الإسلامية في المدينة المنورة فحين سمع نداء الرسول ﷺ ويستطيع قهر أعداء الإسلام، كما يشتهر الإمام علي بصيحته التي تدوي في الأرض وتستجيب لها الجبال.

فهذه الغزوة لها ميول شعبية قوية جدا تجاه الإمام علي، حيث انتشرت انتشارا واسعا في أوساط الشعب الجزائري[2].

وقد تجلّى البعد العجائبي في أكثر من صورة مثل: حضور جبريل، وطي الأرض واختصار المسافات، ونداء الرسول لعلي وهو بعيد وتلبيته للنداء في وقت قصير[3]، فهذه العجائبية كانت إلى جانب واقعية أبطالها التي جعلت من الإمام خاصة بطلا خارقا رغم غيابه في بداية القصة، ليحضر كعادته قويا شجاعا مقداما ومقاتلا باسل.

وهذه رسالة أخرى يبعث بها الراوي إلى المتلقي أن اتقي الله وتمسك بحقك ودافع عنه، لأن هناك غطريف لكل زمان وملك ظالم يظهر في أي وقت، والظلم يتجلى في وجود المستعمر الذي يدفعه دائما للقضاء عليه.

[1] سورة الطلاق، الآية رقم 02.

[2] روزلين ليلى قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 130-131.

[3] سعيد يقطين، السرد العربي، ص 238.

أبناء الملك الأربعون والسيد علي

كان لأحد الملوك أربعون ابنا فمرض وعجز الأطباء عن علاجه فكان يقتل كل طبيب لم يتمكن من شفائه وآخرهم ابن لعجوز وحيدة، ولما سمعت بوفاة ابنها حملت نفسها واتجهت إلى قصر الملك.

- وصول العجوز إلى القصر وعرض خدماتها على الملك.
- شروط شفاء الملك حرق أربعة من الصحابة.
- سفر أبناء الملك الأربعون إلى بلاد الشام للمجيء بالصحابة الأربعة.
- وصولهم إلى بلاد المسلمين بمرافقة علي الذي خرج في استقبالهم.
- حيلة الأبناء في اقناع الصحابة للمجيء معهم.
- حصول الإخوة على المساعدة من أحد المنافقين.
- ذهاب الإخوة إلى بلادهم برفقة الصحابة الأربعة.
- شعور أحد الصحابة بالخطر من خلال فهمه للغة الطير.
- الحيلة الثانية التي جعلت من الصحابة فريسة سهلة للعدو.
- وصول الخبر للرّسول –صلى الله عليه وسلم– وطلبه المساعدة من الإمام علي.
- سفر علي إلى مكان الصحابة ومحاولة معرفة مكانهم بتنكره في زي راعي لدى الروم.
- اكتشاف علي لمكان الصحابة ومحاولة انقاضهم.
- تغلّب علي على الجلّاد، والقضاء عليه.
- تغلّب علي على كل من أرسل الملك للقضاء عليه.
- تعاون علي مع أصحابه للقضاء على الأبناء الأربعين وفرسانهم.
- فوز المسلمين على الملك، وحرق المدينة بأكملها حتى أصبحت رمادًا[1].

[1] العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، ص 470-476.

تحليل الغزوة:

ككل رواية تحمل ملامح البطولة نجد هذه الرواية تحكي لنا بطولة الإمام علي وتصور لنا قوته وشجاعته تتجسد فيها الشخصية البطلة بكل مقاييسها، والتي تشكلت في صورة الإمام طبعا الذي حارب الظلم وتصدّى له، ودافع عن الحق، وتكرّر في أكثر من رواية، وقد كان هناك تلميحا صغيرا لإحدى الخوارق التي أيد بها الله عز وجل النبي سليمان عليه السلام بقول عزّ وجل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾[1].

بين الله هنا أنه ميّز سليمان عن غيره بفهم لغة الطير، فكان للراوي مسندا واقعيا يسند عليه أحداث الرواية.

- والشخصية البطلة المتمثلة في الإمام علي حصلت على جميع مميّزات البطولة (القوة، الشجاعة، الفطنة، الذكاء، الفروسية، النبوءة بالرؤية، تأييده بالخوارق...) وغيرها فقد وضحها الراوي من خلال سرد وقائع المعركة ليكتشف المستمع أو يستنتج الخصال بنفسه.

ونقول أن حضورها طاغ في الرواية أكثر من غيابها والذي تمثل في ملامح الشخصية الخاصة، مبينا أن ذلك لا أهمية له بجانب قوة الإرادة والعزيمة والإيمان بالقضية التي يدافع عنها وأن العدو عدو الدين ما إن سقط هذا الشرط تغيرت الموازين.

فكل غزوة يرويها الراوي تحمل في طياتها رسالة توجيهية وتحفيزا ودفعا للأمام لأجل محاربة العدو الغاشم فتأتي هذه الشخصيات من بعيد من زمن آخر تحمل معها رسائل غير مباشرة يحملها لها الراوي توصلها للسامع تدريجيا عبر خطوط السرد في القصة أو الحكاية.

[1] سورة النمل، الآية رقم 16.

غزوة الخندق

تحكي القصة عن تعرض عمرو بن ود العمري، أحد رجال قريش وحاكم مكة للمسلمين بالأذى، وهم في مكة، وردود أفعالهم حياله في كل مرة،[1] حيث تصارع مع النبي ﷺ وغلب وتصارع مع الإمام علي وكان طفلا لكنه غلبه بعد أن ضرب ابنه وحطم الأصنام، ثم وضع له حديدة في عنقه جعلته يلجأ للنبي ﷺ ليقنع علي بنزعها، لكن علي يشترط عليه أن يتخلى عن الحكم، فيوافق ليرجع للانتقام بعد فترة من الحاكم الجديد الذي دبر له مكيدة وجعله يفتن بابنته التي طلبت مهرا لها أعضاء بعض الصحابة، فيجيء جيشا ويتجه إلى المدينة لقتال الصحابة حينها ينزل جبريل ويخبر الرسول ﷺ أن الله يأمره بحفر خندق حول المدينة ويعده بالنصر.[2]

عندما كان الرسول وصحابته المقربين يشاركون في حفر الخندق رغب الصحابي جابر أن يستضيفهم محبة في الرسول ﷺ وطلبا لرضائه، فاستشار زوجته فوافقته، وتوجه إلى الرسول وعرض عليه الضيافة، فقبلها.

- ذبح جابر نعجته الوحيدة وشاهد أبناءه ذلك، فقام كلاهما يعلم الآخر الذبح، فقتل أحدهما الآخر، أما الثاني فأوقعه الشيطان في الموقد.
- يعود جابر ليسأل عن ولديه ليعلم ما حدث لهما، ويخفي الأمر حتى لا يمتنع الرسول ﷺ عن الأكل عنده.
- يحضر الطعام ويؤذن الرسول ﷺ ـ أن الجميع مدعو ـ مما يوقع جابر في مأزق لأن الطعام قليل.
- نزول بركة الرسول ﷺ على الطعام فيأكل الجميع حتى يشبع.
- سؤال النبي عن ولدي جابر يدفع هذا الأخير للاعتراف له بما وقع لهما، وعندما تحضر جثتيهما ـ يضع الرسول ـ ﷺ عليهما يده ويسأل الله أن يحبيهما فيستجيب له.
- عودة الولدان للحياة كمكافأة لجابر على كرمه وحسن صنيعه[3].

[1] عبد الحميد بورايو. القصص الشعبي في منطقة بسكرة. ص140.

[2] المرجع نفسه. ص 142 ـ 156 ـ 163 ـ 168 ـ 174.

[3] عبد الحميد بورايو. القصص الشعبي في منطقة بشكرة. ص174.

- تنتهي الغزوة بقتل عمرو بن ود علي يد علي بن أبي طالب، رغم صغر سنه، بعد أن عرض عليه الدخول للإسلام ورفض.

تحليل الغزوة:

- تتكون الغزوة من قصتين أساسيتين أولاهما بطلها علي بن أبي طالب والثانية بطلها الرسول ﷺ. ونجد في القصة الأولى شجاعة علي وقوته وهو في أو عمره، إلا أنه جسد البطولة على أكمل وجه حيث تغلب على عمرو بن ود وابنه وحطم الأصنام، وبين الراوي مدى حيث أن عمرو عندما وضع له علي الحديدة في رقبته عجز الكل عن نزعها ما عدا هو (علي) فهذه القوة العظيمة التي يمتلكها وهو طفل تعد من الخوارق التي تميز بها الإمام علي، كذلك مشاركته في غزوة الخندق وقتله لعمرو بن ود ترمي بنا إلى قصة داوود عليه السلام في معركة جالوت حيث كان عليه السلام صبيا فقتل الملك الظالم جالوت رغم قوته وقوة جيشه الذي هابه الكثير.

قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[1].

إذن فحضور الشخصية بملامح جديدة فيها ملامح النبي داوود عليه السلام لشجاعته وبطولته وقضائه على الملك الظالم.

وقد غابت شخصية البطل كطفل من حقه اللعب واللهو مع الأطفال بل وألغى الراوي هذه المستحقات الطبيعية لشخصية الطفل علي وأبدلها بصفات رجل قوي يستطيع الدفاع عن نفسه، وعن دينه.

- وإن كانت الشخصية البطلة بكل صفاتها تجلت في صورة الإمام علي وهو طفل، وبكل تفاصيلها من ذكاء وقوة وشجاعة وحكمة، فقد غيّب الراوي الجانب المهم في هذه الشخصية وهو براءة

[1] سورة البقرة. الآية رقم 251.

الأطفال وانصرافهم في غير أمور الدين والقتال، ولكن اسم الشخصية البطلة (علي بن أبي طالب) يجعل من الراوي يستحضره في كامل صفات البطولة مهما كان سنه.

- أما القصة الثانية فبطلها الرسول ﷺ حيث تجلت الكرامات بشكل واضح في شخصيته، أولها نزول البركة على الطعام الذي أحضره جابر رغم فلته، ثم معجزة إحياء ولدي جابر، أو إعادة الحياة لهما من جديد، وقد أخبراه أن نداءه وصلهما عن طريق إبراهيم الخليل.

فإن كانت الشخصية البطلة حاضرة كما هي ، إلا أن الراوي أضاف لها بعض الخوارق والمعجزات، وهي إحياء الموتى ووصول نداءه حتى إلى الأموات، أما إحياء الموتى فهي معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1]

كما أن الراوي ذكر معجزة وصول صوت النبي ﷺ إلى الولدين وهما في الجنة، وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [2].

وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3].

إذن فإضافة هذه الخوارق والمعجزات يجعل من الشخصية البطلة تختفي بعض ملامحها خلف شخصية أخرى كشخصية عيسى عليه السلام وليس في هذه الإضافة إلا محاولة من الراوي لكسب الجمهور

[1] سورة آل عمران. الآية رقم 49.
[2] سورة النمل. الآية رقم 80.
[3] سورة فاطر. الآية رقم 22.

وجذب المستمعين، وشد المتلقي إلى القصة، فالشخصية البطلة لا تحتاج إلى إبهار فهي محط إعجاب وحب الجمهور من البداية، كيف لا وهي شخصية الرسول ﷺ؟.

غزوة فتح إفريقية

تروي هذه الغزوة قصة وصول الجيش الإسلامي إلى بلاد تونس، وبناء مدينة القيروان، ودعوة ملك مدينة المهدية للإسلام، ثمّ إرسال الأمير عقبة لعبد الله بن جعفر إلى "الملك الأكبر" ملك بلاد تونس ليعرض عليه شروط الفاتحين، ثم تروي الواقعة التي حدثت بين المسلمين والنصارى الذين تعقبوا عبد الله بعدما خرج من مدينة تونس متخفيا، وفي صحبته ابنة الملك، التي أحبته عندما شاهدته وهو يخرج من قصر أبيها، فدخلت الإسلام وتزوجا.[1]

إضافة إلى الكثير من الأحداث التي حاولنا اختصارها كالكرامات التي حدثت مع عقبة والمعجزات أثناء بنائه للقيروان من كلام الحيوانات وتسخير الجبل له، وأيضا ما حدث مع عبد الله بن جعفر حين نطق بسم الله فتح الباب دون أن يلمسه، وشفائه من جروحه أثناء القتال في ليلة واحدة، مع بسالته وشجاعته في الحرب.[2]

تحليل الغزوة:

في بداية الغزوة كان القائد عقبة هو الشخصية البطلة حيث أضاف له الراوي بعض الكرامات كفهم لغة الحيوان والتحاور معه وتمثل في العقرب حين قالت له (حب الوطن من الإيمان) فكلام الحيوان يعد خارقة من الخوارق ونعتبره خيالا لا أساس له من الصحة، فالعقرب احتجت بهذا الكلام حتى لا تغادر الغابة حين أمر عقبة الحيوانات أن تخرج منها فهو حارقها، فبقيت هناك واحترقت، وهنا يظهر الاعتقاد في عدم دخول العقارب إلى المدينة، وخلو مدينة القيروان منها.

كما أشار للجبل الذي أرسل الحجارة من أجل البناء، ويقول أنه جبل (زغوان) أحد جبال الوسط التونسي ولهذا فهو أطول جبل، ويقال أيضا أن هناك صخورا مازالت في الطريق قد تخلفت من الحادثة.

[1] عبد الحميد بورايو. القصص الشعبي في منطقة بسكرة. ص76 ـ 77.

[2] ينظر: المرجع نفسه. ص78 ـ 84.

وبهذين الحادثتين نلمس ملمحا لشخصية الرسول ﷺ والنبي سليمان عليه السلام مما يلغي شخصية ـ عقبة ـ كبطل عادي وحضوره كبطل خارق.

- بين الراوي أهمية الفتوحات في هذه الغزوة وحسن التعامل مع العدو، كذلك الرفق بالحيوان من معاملة عقبة للحيوانات ومحاولة إبعادهم من الغابة قبل حرقها.
- أما شخصية البطل عقبة فغاب عنها البطل القائد والمقاتل الفذ إذ لم نشهد له معركة تبين شجاعته وقوته، إلا أننا لمسناه فاتحا لإفريقيا وبانيا للقيروان، حسن التعامل مع العدو.

وخير وصف لحوار عقبة مع الحيوانات ما صاغته الرواية الشفهية في هذه الأبيات:

زلوا في القيروان شايبهم وشباب قالوا يا الأمير نبنوا القصر هنا
خلفنا بَرنا بعيد بَلا تَحكار سكنَّا بَلاَد كثر وعدونا
ابن لَينا دِيَار وحصُنها بِآسوار سكن فيها أولادنا هي و إنسانَا
خَايَفْ نَطْلَقْ نَارَ في هَذى الأشجار نَدى ذَنْبْ الوُحُوشْ مَا جَتْنَى قُمنا
قَالُوا لَهْ لُوحْ البْرِيحْ للهِوُش والأطيار وأَطلب بشريعة النَّبي لان تَخطونا
اعمَل اِتجَال يوم ثَلثَ أيام ونَهارَ ولي يَبْقَى في الرُّسُوم ذَنْبُه خَاطينا
بَعد الاتَّجال نَادَى بَالتِكرار نَادَتْه دَابَّهْ احنَايَا مازِلْنا
قالت منايتى العقرب ذا الشعار نحرق بالنار وما نفارقش وطنا
طلق فيها النار و الرماد مشى غبار جانه الأرباح تركاته قاعد زينة
صلى عقبة الأمير بالناس الحضّار سلم من الركعتين ودعا لمولانا
كي عيط للجبال جاء بإذن القهار حجر الكيفان زاهي ويمشي ويتغنى
بتنى بيه المقام الأخضر سماه القيروان كتبه
والجامع دار فيه منبر من دخله نمحى ذنوبه
سارت الأصحاب فيه تذكر كل الآخر حط فيه حربه

أما الجزء الثاني من الغزوة فبطلها "عبد الله بن جعفر" حيث أرسله عقبة إلى تونس ليكلم ملكها، وحين اشتد الحوار بينهما بعث الملك يهدد عقبة بالحرب، وما كان من أمر عبد الله فقد أرسلت له ابنة الملك بحجة سؤاله عن الإسلام وقد كانت أعجبت به، وبمجرد وصوله إلى الباب نطق "بسم الله"

ففتح الباب دون أن يلمسه وكانت هذه أول معجزة له، لكن الملك أرسل وراءه من يتتبعه للقبض عليه، بحيث ولّى خائفا كل من بعث للبحث عنه، لسماعهم بقوته وشجاعته وشهوته كبطل، ولما علم عبد الله بملاحقته تنكر في زي امرأة وخرج من قصر الملك، ثم أرسل في طلب المساعدة، وحصل عليها، وحين تواجه الجيشان تعرض عبد الله للجروح بعد أن قاتل ببسالة، ومن المعجزات التي ذكرها الراوي شفاؤه في ليلة واحدة.

فحضور الشخصية البطلة ظاهرا من خلال أعماله وبسالته في الحرب وككل غزوة يضيف الراوي الخوارق ليبهر المتلقي ويقنعه أن طالب الحق تتحد معه كل القوى وتتهيأ له كل السبل، كما وصف "عبد الله بن جعفر" بالحسن نظرا لقرابته للرسول ﷺ أما غيابها فسببه الإضافات التي أضافها الراوي فجعل من الشخصية الحقيقية تستتر قليلا وتصبح شبه غائبة، إلا أن الخصال التي ذكرها الأخرى دافعت عن حضورها وأثبت وجودها.

غزوة تلمسان

جاءت قصة غزوة تلمسان متضمنة شخصية رئيسية هي عبد الله بن جعفر كبطل وقائد ضمن أفراد الجيش الذي يترأسه عقبة، يتوجهون بعد تشاور إلى المدن المتاخمة لنشر الإسلام، وبأمر من القائد عقبة يتوقفون بمكان به واد وأشجار كثيفة طلبا للراحة.

صلى "عقبة" ثم اجتمع بالصحابة، وتشاوروا بينهم، ثم أمر عقبة عبد الله بن جعفر بالتوجه بجيشه إلى مدينة العقبان ومعه الزبير والفضيل، أما "عقبة" فتخلف بما تبقى من رجال ونساء وصبية، يفاجِؤون بتقدم جيش الروم نحوهم فأصيبوا بذعر، لكن "عقبة" دعاهم إلى التحلي بالصبر والثبات، هجم جيش الروم على المسلمين وأسر عقبة ومن معه.[1]

أقبل بعض الجند إلى "عبد الله بن جعفر" وهو في مدينة العقبان، فأخبروه بأن عقبة وقع في الأسر من طرف ملك تلمسان، فتحير الصحابة، ثم أعدوا العدة وتوجهوا إلى المدينة لتخليص "عقبة" من الأسر، وعند اقترابهم من المدينة أقاموا بجانبها، ثم قرر "عبد الله بن جعفر" أن يقتحم أسوارها

[1] ينظر العربي بن عاشور. قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري. ص285.

ولحقه جماعة من الجند، فتسلقوا الأسوار لكن الحراس اعترضوهم بالنبال فأصابوهم بضربات جعلتهم يتراجعون، لكن "عبد الله بن جعفر" أصرّ على مواصلة تسلق الأسوار حتى وصل إلى المكان الذي قيد فيه "عقبة" فحرره وعاد به إلى الصحابة الذي فرحوا فرحا كبيرا.[1]

علم ملك تلمسان "زراوش" بالأمر، فأعد جيشا قويا توجه به إلى مكان تواجد الصحابة، لما رأى "عبد الله بن جعفر" جيش الكفار قادما أمر بالاستعداد للمعركة، طلب الملك مبارزة "عبد الله بن جعفر"، وكان له ذلك حيث هجم عليه "عبد الله بن جعفر" فأصاب فرسه فقتله، فرّ الملك، ليعود ثانية ومعه جيش كبير، ونادى في جيشه أنه من يأتي برأس "عبد الله بن جعفر" سيكون صهرا له، فتقدم أصدقائه وتوجه نحو "عبد الله بن جعفر"، واشتد النزال بينهما لينتهي بموت هذا القائد الكافر، اشتد غيض الملك وذهب في اليوم الموالي يسأل أحباره وعرافيه، فأخبروه بأنهم لا يستطيعون محاربتهم، فازداد غيضا وتوجه وجيشه إلى المعركة، طلب الملك مبارزة "عبد الله بن جعفر" ووقع النزال، فضرب "عبد الله" الملك فسقط ميتا، ولما رأى الجيش ملكه قد مات هجم على المسلمين، ووقعت معركة كبيرة انتصر فيها المسلمون.

وفي ليلة مظلمة يفاجأ المسلمون بهجوم جيش "لؤلؤة الطرف" عليهم فيستشهد منهم عدد كبير، لكنهم انتصروا على الكفار، نصبت "لؤلؤة الطرف" تسأل العرافين والأحبار الذين أخبروها بأنه ستفتح كل المدن على يد هذا الرجل، وأنه سيكون هلاك كل من يعترض طريقه، بعدها أمرت جيشها بالتوقف، ثم توجهت إلى "عبد الله بن جعفر" تسأله عن دينه وعن أمر نبيه محمد وفضله، ولما أجابها طلبت منه أي يبقي الحديث الذي دار بينهما سرّا بعد أن أظهرت تأثرها بالأخبار التي عرفتها ما جعلها تلين في موقفها وتنسحب من أرض المعركة، أما ما كان من سكان تلمسان فإن أعيانها (بعد موت ملكهم) اجتمعوا واتفقوا بعد تشاور على النزول عند رغبة المسلمين حقنا لدمائهم، وكان ذلك فتح دخل فيه المسلمون المدينة منتصرين.[2]

[1] ينظر العربي بن عاشور. قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري. ص286.

[2] ينظر المرجع نفسه. ص286.

تحليل الغزوة:

تروي هذه الغزوة بطولة أخرى من بطولات "عبد الله بن جعفر" حيث حاول تحرير عقبة حين وقع في الأسر حتى مع تراجع أصدقاؤه فقد بقي يتسلق الأسوار رغم محاصرة الجنود ورميهم له بالنبال حتى تمكن من تحرير عقبة ليعود إلى جيشه ويفرحون به، والبطل الخارق وحده من يستطيع قتال عدد كبير من الجنود والتغلب عليهم، ورغم قوته وشدته وقتاله بشراسة ضد الملك وأتباعه حتى تغلب على الملك وقتله، فهو لديه جانب لين حيث أعطى لعدوه فرصة للتسامح والصلح حتى تمكن من الدخول إلى الإسلام.

فالشخصية البطلة التي تجسدت في "عبد الله بن جعفر" صورها الراوي بكل ملامح البطولة من قوة وشجاعة وحلم وحكمة حتى أن العرافين حذروا منه وهذا دليل على شهرته التي وصلت للجميع وتعدت حدود بلاده.

وهذا حضور شبه تام للشخصية البطلة إذ ركز الراوي على صفاتها الشائعة، فلولا شجاعة "عبد الله بن جعفر" لما كان الرواة تناولوا أخباره وغزواته، أما وجود العرافين فهو يبين بعد هذه المدينة عن الإسلام ومدى اعتقاد الناس فيهم في تلك الفتوة.

ورغم أن الراوي لم يضف أي خوارق إلا أنه أشار من خلال العرافين أن المدن كلها تفتح على يد عبد الله بن جعفر وهذا منتهى المبالغة.

أما غياب الشخصية فلم يكن إلا في صفاتها وملامحها الخاصة التي عرف بها عبد الله بن جعفر وهي أشياء شكلية لا يكترث بها لا الراوي ولا المستمع، لذا تجاهلها الراوي لأنها ليست ذات أهمية، فغابت عن السرد.

غزوة بير ذات العلم

أخذنا هذه الغزوة وهي غير مكتملة لكنها تصور لنا بطولة الإمام علي وهذا كاف.

تروي القصة خروج الرسول ﷺ إلى إحدى الغزوات فطال الطريق بهم، ونال منهم العطش، فوصفوا لهم بئرا لكنه مسكون، ذهبوا إليه حين اشتد بهم العطش، وحاولوا أكثر من مرة بإدلاء الدلو

وكان يرد لهم، فقرر علي النزول وحين وصل إلى قاع البئر انقطع به الحبل، وانقطع صوته، ولم يكن له موطئا يضع عليه قدمه، فتضرع الرسول ﷺ إلى ربه فأخبره أن علي يحاول أن يجعل الجن يدخلون الإسلام وعليه الانتظار إلى ليلة السابع والعشرين من رمضان وينادي عليه فسوف يخرج له، وحدث بالفعل ما أخبره به[1].

تحليل الغزوة:

تركز هذه الغزوة أيضا على بطولة الإمام علي، وتصور لنا شجاعته وإقدامه وتضحيته بالنزول إلى البئر لجلب الماء دونا عن أصحابه رغم عمله بوجود الجن هناك، ورغم بقائه في البئر إلا أنه لم يتراجع، وحاول نشر الدين الإسلامي حتى بين عالم آخر يخالف عالمه وهو عالم الجن.

ويحاول الراوي هنا أن يظهر وجها آخر للإمام علي رغم تأكيد صفة التضحية بالنفس والمبادرة، فقد سبق وأن قام بالتضحية بنفسه حين نام في فراش النبي ﷺ حتى لا تنال منه قريش، ولكن محاورة الجن هذه ميزة خص الله بها النبي سليمان عليه السلام.

فنزول الإمام علي للأرض السفلى معجزة لم يسبق لها الحصول وإنما من خيال الراوي الذي استحضر الأسطورة هنا، حيث طغى العالم الأسطوري الخيالي عن العالم الواقعي الحقيقي، ومن الملاحظ أن شخصية الإمام تحضر بقوة من جانبها البطولي فقد وصف شجاعا مقداما وهذه صفات يتصف بها الإمام بالفعل.

فعلي هو الشخصية البطلة فكل الأحداث تتهيأ لحضوره وكل المعارك لا تجري من دونه، فهو يأخذ بصورة مقدسة لما خصه الله بمعجزات.

ويحاول الراوي أن يضيف له ميزة أخرى وهي حواره مع الجن، وبروز المعتقد القائل بوجود الجن في الآبار والأماكن الخالية، وكذلك الإشارة إلى ميزة الليلة السابعة والعشرين من رمضان، وعظمتها في الأيام.

[1] ينظر العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، ص 469، 470.

كما أنه يوضح عدل الإمام علي الذي يقيمه حتى على الجن فهو يعرض عليهم الإسلام ومن لم يسلم فرض عليه الجزية دون قتال.

إذن فالشخصية البطلة رغم غياب الجانب القتالي لها، إلا أن حضورها كان قويا حيث تجسد في البطولة الأخلاقية والتي ظهرت لنا في محاولة الإمام علي مساعدة أصحابه بالتضحية بنفسه والنزول إلى البئر رغم وجود الجن، واحتمال عدم نجاته والعودة مرة أخرى إلى عالمه، وفي نشره للدين الإسلامي بطريقة سلمية وتطبيق العدل حتى على الجن.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1].

جسّدت المغازي الشخصية البطلة من الناحية الداخلية المتمثلة في القيم الروحية والمبادئ الدينية والأخلاق النبيلة التي بدت ملامحها وتجلت في شخصية الإمام علي أكثر من الناحية الخارجية فالإمام علي كبطل للروايات التي قد مناها رغم ظهوره في الأخير إلاّ أنّ بصمته كانت واضحة في كل القصص، فهو المنقذ والمخلص والحاكم العادل المنصف للحق، الشجاع الذي لا يهاب أحدا، تظهر على يده الكرامات وتتبعه المعجزات والخوارق بتأييد ربَّاني.

فالحكايات التي عثرنا عليها لم نجد فيها وصفا دقيقا للبطل، وإنما ركّزت على الجانب الروحي وآثرت استدعاء الشخصية البطلة كما يعرفها المستمع من قبل، وأضافت لها بعض الخوارق لكسب جمهور أكبر، فكانت الغزوات تروي بطولاته بشكل عجائبي رغم حقيقة شجاعته وبطولته في الواقع، لأن الراوي دائما يرتكز على مسند حقيقي وأصل تاريخي، حتى يضمن تصديق المستمع له والإيمان بقوله، خصوصا إذا كان هذا الكلام للتحفيز واستنهاض الهمم، ونشر بعض تعاليم الدين الإسلامي. لذلك فالمغازي أخذت مكانا متميزا لدى المستمعين، واجتهد الرواة لجعلها تبدو بصورة أكثر إثارة وجاذبية، رغم أن الاحتلال لم يعطها ذاتها التي جعلتهم فيما بعد يمنعون رواة المغازي من رسائل مبطنة في ظاهرها التاريخ وفي داخلها الحاضر.

[1] سورة الذاريات. الآية رقم 56.

لذا استدعى الرواة الشخصيات التاريخية لجعلها ستارا للشخصيات الحاضرة ومرروا رسائلهم من خلالها، فكانت في زمن معين معبرا آمنا لقضاياهم وآرائهم وأحلامهم التي يثبتونها من خلال الروايات.

فكانت الشخصية البطلة تحضر بعد كل هذا الغياب لتستوطن بأذهان المستمعين تبعث فيهم الأمل والحياة وتشعرهم ببعض الرّضى عن المستقبل، وتدفعهم للتمسك بمبادئهم ودينهم وأرضهم وحماية ممتلكاتهم الخاصة.

فحضور الشخصية البطلة لم يكن عبثا وإنما لدواع أمنية يخفي وراءها الراوي آمال شعب وآلامه، يجعل منها محورا هاما في حياة الملتقي، فتصبح مثله الأعلى، تبعث فيه الشجاعة من جديد، وتجعل منه واعيا بخطر العدو الذي يعيش معه، وتطلعه على خباياه وأسراره فيسعى بذلك لمحاربته وصدّه.

إلّا أنّ ذلك الغياب الإجباري الذي جعله الزمن فاضلا بين الحقيقة والخيال كان فاضحا، فأدرك العدو خطورة حضور هذه الشخصية من جديد وعلم سر وجودها وتواجدها بين الشعب، فآثر محاربتها رغم حضورها الشكلي، فحتى هذا الحضور يشكل خطرا لما له من تأثير على العامة.

وبذلك فقد قامت قوات الاحتلال بتغييب هذه الشخصية البطلة من جديد، لكن تبقى ملامح هذه الشخصية في أذهان الجماعة تستقي منها القوة والشجاعة، وظلّت هذه الشخصية البطلة رغم مرور الزمن تتأرجح بين الحضور والغياب من وقت لآخر نستدعيها كلما احتجنا لجرعة من الأمل والتفاؤل، ثم تغيب من جديد.

الحضور والغياب

في قصص الأولياء

1-قصص الأولياء الأقطاب

2-قصص الأولياء المحليين

لكل مجتمع عاداته ومعتقداته التي يحافظ عليها ويحاول ترسيخها في أذهان الجيل الموالي له، وتصل المعتقدات أحيانا حد الإيمان بالمعتقد به مثل ما هو واضح في قصص الأولياء، فيعتقد المريد أن الولي أقرب منه إلى الخالق.

ويرى المعتقد الشعبي بأن الأولياء هم واسطة بينهم وبين الخالق[1]، لذلك يبجلونهم لدرجة جعلهم قادرين على التصرف لدرجة أنهم يظنون أن الله جعل لهم قدرات خاصة وخارقة وقد سخرت لهم الأرض والسماء الجن، ولهم حق محاسبة العباد وحتى الحكم بالموت إن شاء الله أو إحياء الموتى، ومنح الذرية لهم[2].

لذلك فهم يقومون بإكرامهم بزيارة الأضرحة والتضرع لهم وتقديم الإكراميات والهدايا والذبائح، وإقامة الولائم (الوعدة) والحضرات، فهناك أولياء تقام لهم زيارات في كل موسم، وتقام الولائم، باجتماع المعتقدين، وإقامة العديد من الطقوس والممارسات ولكل مجتمع وليه ومعتقداته، وله وطقوسه الخاصة التي يمارسها أثناء الزيارة محاولا استدعاء وليه في تلك الأثناء حتى يحقق له أمنياته التي باتت في نظره مستحيلة.

فكيف يتم هذا الاستدعاء؟ وفي أيِّ صورة يحضر الولي؟ وهل هذه الصورة الجديدة تخدم المعتقد فيه أو المريد أم لا؟

[1] محمد فوزي كنزاي، فوزي بومنجل، العادات والتقاليد بين الرمز والممارسة (دراسة مونوغرافية بقرية البرابرة بالمسيلة)، التراث الثقافي، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2009، ص 32.

[2] علي كبريت، موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت، ج1، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2007، ص 73.

1- قصص الأولياء الأقطاب:

تروي هذه القصص حكايات عن الأولياء الذين تعدت شهوتهم المنطقة وعرفوا في جميع أنحاء البلاد وحتى خارجها، وقد اخترنا وليا من الأولياء تميز بشهرته التي تعدت حدود المنطقة وحتى البلد الواحد وهو الشيخ عبد القادر الجيلاني.

والشيخ عبد القادر الجيلي (لجيلاني) هو الشيخ محي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح يصل نسبه إلى محمد الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

ولد سنة سبعين وأربعمائة (470هـ) أمة هي أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي، وكأن له حظ وافر من الخير والصلاح.

وكان نحيف البدن، ربع القامة عريض الصدر، عريض اللحية وطويلها أسمر، مقرون الحاجبين، أدعج العينين، ذا صوت جهوري وسمت بهي، وقدر عليّ وعلم وفي.

أما شيوخه فمنهم: أبو الوفاء علي بن عقيل، وأبو الخطاب محفوظ بن أحمد، الكلوذاني، وأبو الحسين محمد بن القاضي بن أبي يعلى، وأبو سعد المبارك بن علي المخزومي، أخذ عنهم مذهبا وخلافا وفروعا وأصولا.[1]

ومن أقواله: "إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبه فأعرض أعماله على الكتاب والسنة؛ فإذا كانت محبوبة فيهما فأحبه وإن كانت مكروهة فاكرهه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك".

وسئل عن الدنيا فقال: "أخرجها من قلبك إلى يدك فإنها لا تضرك".[2]

له مؤلفات عديدة منها: الفتح الرباني، الغنيمة، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية.[3]

توفي ﷺ سنة أحد وستين وخمسمائة (561هـ) ودفن بالمدرسة التي كانت له.[4]

---

[1] عبد القادر الجيلاني. الفتح الرباني والفيض الرحماني. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. د ط. 1980. ص05.

[2] صلاح مؤيد العقبي. الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر. تاريخها ونشاطها. دار البراق. ط1. 2002/دار البصائر. ط.خ. 2009. ص98.

[3] المرجع نفسه. ص95.

[4] عبد القادر الجيلاني. الفتح الرباني. ص07.

قصة الشيخ عبد القادر والعجوز

تحكي القصة عن "الشيخ عبد القادر الجيلاني" عندما قام بجولة هو والشيوخ: (الشيخ بومهدي، والشيخ السبتي بلعباس، والشيخ عيسى) يبحثون عمن يستضيفهم فلم يجدوا سوى عجوزا مع ابنتها تسكن كوخا منعزلا، ولا تملك سوى عنزة وخفنة شعير، فقامت بذبحها إكراما لهم، وطلب منها "الشيخ عبد القادر" أن تأتي بخفنة الشعير وتقوم برحيها، وقام هو بفرش ثوبه فتكاثر الدقيق، وجهز الطعام وأكل الجميع حتى أهل القرية، وفي الصباح اتفقوا على مكافأتها، فأعادوا لها بصرها، وابنها الغائب في الجيش الفرنسي وبنوا لها بيتا ركائزه من ذهب، وعوضوا لها عن العنزة بقطيع من الغنم.[1]

تحليل القصة:

لم يذكر الراوي تلك الصفات الخارجية للشخصية البطلة واكتفى بالتلميح فقط، وركز عن الجانب الداخلي المتجسد في الأعمال التي قامت بها الشخصية، والكرامات التي ظهرت على يده والخوارق في القصة.

فالشخصية هنا غابت كتجسيد لكنها حضرت كمعنى حيث حاول الراوي استحضار الولي أو شخصية البطل بصورة مختلفة حتى يبهر السامع ويدعوه للإيمان بها والتمسك بالاعتقاد الذي يملؤه نحو هذا الولي، فجسد الشخصية بشكل يرغبه المتلقي وإن كانت هذه الروايات تروي في عهد الاستعمار حيث انتشر الجوع والفقر والأمية والظلم، وابتعد كثيرا منهم عن التعاليم الإسلامية، وفقدت معالم التكافل، وضاقت مساحات العدل والإخاء، فقد حاول الراوي إعادة هذه الأخلاق والمعاملات النبيلة والطيبة من خلال شخصية الولي البطل بتجسيد الشجاعة والقوة، والكرم والتسامح والإيثار وحب المشاركة والابتعاد عن الأنانية وعدم تفضيل الذات عن الآخر.

ورغم غياب ذلك الجانب الدعوي للشخصية البطلة كما هو معروف عن "الشيخ عبد القادر الجيلاني" إلا أن حضوره تجلى من خلال أعماله التي حاول بها إثبات دعمه للفقير والمحتاج ومكافأة الكريم، وبهذا العمل يشجع على فعل الخير ونشر السلام والتآخي، وعدم الحكم على المرء من

[1] ينظر عبد الحميد بورايو. الأدب الشعبي الجزائري. ص130 ـ 131.

مظهره، وألا يحتقرن أحد صغائر الأمور، فالدعوة ليست بالضرورة أن تكون قولا فقط، فقد كان داعيا بأخلاقه.

ونستطيع أن نقول أن الشخصية البطلة غائبة في حد ذاتها وتحضر مكانها شخصية أخرى أخذت منها الكرامات والخوارق وهي شخصية النبي ﷺ فكان الرسول الكريم أينما حلّ تحل البركة.

– فتجسد حضور البطل هنا في صورة الشجاعة والكرم والكرامات التي أحدثها تاركا بصمته في المكان الذي أقام فيه، رغم غياب تلك الصفات التي يتصف بها الإنسان العادي في الحياة العادية.

الشيخ البودالي خديم سيدي عبد القادر

تروي القصة أن الشيخ البودالي كان رجلا ذا ثراء، وكان من أتباع الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأنه أنفق ثروته الطائلة وفرط في أملاكه جميعا خدمة للولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني، إذ كان يتصدق على جميع من يقصده ويتوسل له باسم الولي المذكور ويقدم الراوي كدليل على هذا الإخلاص حادثة حصول البودالي ـ بعدما أصابه الفقر ـ على بعض المال بفضل تلقي مساعدة من طرف أحد الفلاحين ملاك الأراضي من أبناء بلدته، وكيف أنه بمجرد ظهور امرأة عجوز سمعت من قبل بكرمه وبما يبذله في سبيل الولي الصالح، فقصدته راجية معونته، فوهبها كل ما حصل عليه، وظل على فقره وعوزه، مما اضطره للرحيل بصحبة زوجته من موطنه الأصلي "بسكرة" نحو مراكش.

يقدم الراوي بعد ذلك حادثة ظهور الولي الصالح لمساعدة الشيخ البودالي في رحلته، فيطوي به الأرض ليبلغ مدينة مراكش في وقت قصير.[1]

وتجري الأحداث القصة الرئيسية في مدينة مراكش، لما يشاهد "الخوجة" زوجة الشيخ البودالي فيعجب بجمالها، ويعمل على أخذها عنوة وزورا من زوجها، ويتدخل الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني مرة أخرى لينفذ خادمه، وينتقم له من الخوجة ويحسن مصيره، ويعيده إلى ما كان عليه من ثراء ونعمة.[2]

[1] عبد الحميد بورايو. البعد الاجتماعي والنفسي في الأدب الشعبي الجزائري. منشورات بونة. الجزائر. ط1. 2008. ص35 ـ 36.

[2] المرجع نفسه، ص36.

كانت هذه القصة تروى في زمن كان فيها للخوجات والباشاغات سلطة قوية في منطقة بسكرة إذ كانوا يمثلون أداة الاستعمار الفرنسي لحكم الأهالي، وقد عانى الشعب منهم ومن ظلمهم وجورهم كثيرا، وقد وجد الأهالي في هذه القصص تعبيرا صادقا عما يشعرون نحو هذه الفئة التي عرفها تاريخ الجزائر منذ العهد التركي، وكانت تتكون من كبار الإقطاعيين الذين تعاونوا مع الاستعمار الفرنسي الذي منحهم السلطة السياسية، فاستعملوا نفوذهم وأذاقوا الجماهير الفقيرة ألوانا من الذل والهوان، ولا زالت ذاكرة الشعب حتى اليوم تحمل لهم ذكريات سوداء.[1]

تحليل القصة:

تمثلت الشخصية البطلة في شخصية الشيخ عبد القادر الذي يمتحن خادمه في إخلاصه له وصبره وثقته الكبيرة به حيث ينفق المريد كل ما لديه من أموال لإرضاء وليه الذي يقوم بدوره بمساعدته في الخروج من ذائقته المالية، وحين ينوي الرحيل من بلاده إلى بلاد أخرى يطوي به الأرض ليصل في مسافة قصيرة إلى الأرض التي يقصدها وهي مراكش، وهناك تعرض للظلم، حيث حاول الخوجة أخذ زوجته عنوة ولكن الشيخ عبد القادر يساعده فيوصله إلى الحج حتى يلتقي ابن السلطان ويشكو له حاله، ويقوم هذا الأخير بحل مشكلته عند والده بإرسال رسالة للسلطان وتشرح الوضع له، فيقوم السلطان بطرد الخوجة ويرد للشيخ البودالي زوجته.

صورت هذه القصة مراتب الحكم والسلطة والعلاقة بين الخادم ووليه، وكيف كان استغلال السلطة والمناصب في تسيير المصالح الخاصة، وظلم الفقراء والمستضعفين، لكن الراوي أشار إلى العلاقة المتينة بين الشيخ والمريد، فما دام هذا الأخير يحافظ على تمسكه بشيخه ويملؤه الإخلاص نحوه والإيمان فالولي لن يتخلى عنه.

[1] عبد الحميد بورايو. القصص الشعبي في منطقة بسكرة. ص113.

فتغيب هنا شخصية الشيخ عبد القادر كإنسان عادي له نفس حقوق ومطالب البشر لتحضر مكانها شخصية أخرى وصفت بالربوبية حيث يختبر هذا الولي خادمه، كما يختبر الله عبده، قال تعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى يبتلي عبده بالمحن حتى يرى مدى صبره وإخلاصه له، كذلك الراوي وضع هذه العلاقة بنفس الميزان، وأوضح أن العبد إذا ما صبر على بلائه كان جزاؤه حسنا، وأن الظلم لن يدوم مهما كان الطرف الظالم قادرا وقويا فالحق ينتصر على الباطل، والعدل هو الذي يسود في النهاية.

إذن فحضور الشخصية تجسد مرة أخرى في أخلاقها وأعمالها رغم بعض الخوارق التي قامت بها كطي الأرض والوصول إلى الحج في وقت قصير، ولم تكن هذه السرعة إلا من صفة الجن، وقد ذكر الله تعالى في سورة النمل حوار الجن مع النبي سليمان عليه السلام. فقال تعالى:﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

قصة الشيخ عبد القادر مع الشيخ بوزيد

تروي القصة منافسة الأولياء في محاولة إظهار كرامة كل منهما دون الآخر وتقول القصة:

"وحد النهار، كان هو وسيدي بوزيد (المقصود عبد القادر الجيلاني) عيط لها سيدي بوزيد: عيط لذيك الشجرة تجي عندنا، تظلل علينا عيط لها سيدي عبد القادر: جابيتك بربي والنبي، أرواحي ظللي علينا تزعزعت من مكانها وما جاتش.

[1] سورة البقرة الآية رقم 155.

[2] سورة النمل الآية رقم 39 ـ 40.

عيط لها سيدي بوزيد، جت تتركب، زعف سيدي عبد القادر، وراح لواحد الواد، وبقى يعبد في الله، ربعين عام، نزل عليه جبريل، وقال له: "عط كرعيك يا عبد القادر، على بوزيد، واللّي يزيد" ومعناه هو شيخ الصالحين.[1]

تحليل القصة:

يقوم الراوي بداية بإلغاء دور الشخصية البطلة المتمثلة في "الشيخ عبد القادر الجيلاني" وإبطال عملها تماما ما يجعلها شخصية عائدة جردها من كل صفات البطولة وجعل منها شخصية شبه خاضعة لشخصية أخرى وهو "الشيخ بوزيد" وهنا قد غيبها تماما وأسند البطولة إلى شخصية محاذية والتي استطاعت أن تقوم بالعمل الذي عجز عليه وهو تحريك الشجرة وهذا من الخوارق.

لكن تحققت له الكرامة عندما راح يعبد الله أربعين سنة، وأصبح شيخ الصالحين، وهذا حين نزل جبريل وأبلغه أن يضع رجليه على بوزيد وكل من يأتي بعده، أي يعلو عليهم جميعا.

وهنا نلمس حضور الشخصية بصفة مخالفة تماما لصورة الإنسان العادي أو حتى الولي، وهذا غياب من نوع آخر حيث تغيب الصورة الحقيقية للولي كإنسان مجرد من الكرامات، ويستحضر الراوي الشخصية في صورة مبالغ فيها لدرجة تشبيهها بالأنبياء وهذا حين نزل جبريل ليبلغه أنه من الصالحين.

لذا نلمح تناص الشخصية البطلة مع شخصية الأنبياء وبالأحرى شخصية الرسول ﷺ فقد كان يتأمل في غار حراء حين نزل عليه جبريل، وكان أول نزول الوحي والتكليف بالرسالة وبنا أن هذه الواقعة لها أصل تاريخي آثر الراوي ذكرها في قصته لتأصيل معلوماته وتوثيقها وإثبات كرامة وليه وصرف الشكوك.

فالحادثة وقعت مع الرسول ﷺ لأنه عبد صالح من عباد الله سبحانه وتعالى، وتحدث للشيخ عبد القادر الجيلاني لأنه تعبد أربعين سنة وأصبح من عباد الله الصالحين.

[1] علي كبريت. موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتسمسيلت. ص81.

وإذا كانت هناك رسالة في هذه القصة غير إثبات كرامة الشيخ وقداسته فهي أن بالتقرب من الله واللجوء إليه تحدث المعجزات وترتفع للعبد الدرجات فيصبح بمكانة عالية تقارن بمكانة الأنبياء، وأن الشيخ عبد القادر لم تأته الكرامة هكذا وإنما بالعبادة والطاعة والإخلاص في قربه من الخالق.

مأدبة الشيخ عبد القادر

تقول القصة: "أنه كان في يوم من الأيام امرأة سائرة في الصحراء من ابنها وفجأة وقع ابنها في بئر عميقة، فجاء سيدي عبد القادر حاكم البر والبحر، فأخذ شكل طائر وأخرج الطفل من البئر قبل أن تسيل دموع أمه فعلموا من هو، وأصبحت تقام له مأدبة في ذلك المكان كل عام على شرفه".[1]

تحليل القصة:

تختلف هذه القصة عن باقي القصص، فالشخصية البطلة هنا لم تتجسد في شكل إنسان وإنما طائر ـ حيوان لا عقل له ـ وهذا يضعنا أمام صورة أخرى صورة غير بشرية حتى ينفذ خادمه ويساعده ويصفه الراوي هنا لا تليق إلى برب السماوات والأرض وهو من يحكم البر والبحر. ولكن ليس من حقنا الخوض في هذه المسألة ولكن أتينا بهذه القصة لنبين مدى اعتقاد الناس بالولي لدرجة تصل إلى العبادة.

وهنا لم يعد الولي مجرد وسيط بل أصبح هو صاحب الملك والتصريف، وربما هذا من الأخطاء الشائعة في الاعتقاد بالأولياء والإيمان بغير الله سبحانه وتعالى.

فنقول أن الشخصية غائبة تماما ولم تحضر إلا بالاسم رغم العمل الذي جسدته والذي قد يثبت حضورها لكن الراوي غير ملامحها تماما ليجعل منه قادرا على دخول البئر وخروجه في لحظات فلم ينسب له سرعة الطير وإنما جعل منه طيرا في حدّ ذاته، ليثبت أن الولي قادر على التشكل في أي صورة ليساعد خدامه.

[1] علي كبريت. موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت. ص79.

سيدي عبد القادر والسبتي بن العباس

تحكي القصة أن الشيخ عبد القادر الجيلاني طلب من الشيخ السبني أن يرجو الله الوقاية من دعاوي الحق ودعاوي الباطل، وذلك عند مغادرتهما بغداد، فرد عليه بأنه ليس هناك داع لمثل هذا الرجاء ما دام ليس في موقف يدعو إلى ذلك، فألح الأول، لكن الثاني أصر على موقفه فنزلا في طريقهما في حي حيث استضافهما رجلان وكان الرجل الذي دعا الشيخ السبني رجلا شربوا، فعامله معاملة جافية واصطنع بسببه خصاما مع زوجته، وضربها، فكظمت المرأة غيظها، وانتظرت إلى أن نام زوجها، وقامت فذبحته وخبأت السكينة في شعرها، ولطخت ثياب الشيخ السبني بالدماء ووضعت فيها سكينة أخرى ملطخة بدورها بالدماء، وعندما أصبح الصباح ادعت أن الضيف قتل زوجها، فاجتمع أهل الحي وحكموا عليه بالحرق، وتحدث الرجل الذي كان يستضيف الشيخ عبد القادر بما حدث فأكد له الشيخ بأن السبني رجل شرير، وليس غريبا أن يفعل هذه الفعلة، وقام وقصد المكان الذي يعدون فيه زميله للحرق، وما أن رآه هذا الأخير حتى انفجر ضاحكا لأنه تذكر ما قاله له عند مغادرتهما بغداد، وكان يعلم أنه لن يتخلى عنه وما حدث ما هو إلا امتحان له وسينفذ في النهاية، وقد قام الشيخ بالفعل عن طريق المعجزة بانفاذه، فجعل الجنين في بطن المرأة القاتلة الحقيقية ينطق، ويشهد لصالح السبني، ويكشف ويدل على مكان السكينة.[1]

تحليل القصة:

تروي القصة عن معاقبة الشيخ لخادمه لأنه لم يمتثل لأوامره فقد طلب منه أن يدعو الله أن يقيه من البلاء والمكاره فامتنع عنه وحين حدث له ما حدث كان أول من مدّ له يد العون والمساعدة له، مادامه سليما معافى لم يحصل له مكروه، فوقع في أسوأ موقف، واتهم زورا وباطلا بأنه قتل رجلا وهو يريء من ذنبه.

[1] عبد الحميد بورايو. القصص الشعبي في منطقة بسكرة. ص115.

وقد حاولت الزوجة أن تبعد عنها الشكوك فوجهت إليه الاتهام مما دفع بالأهالي إلى محاولة حرقه، ووصل الخبر إلى الشيخ عبد القادر فحاول إنقاذه بجعل الجنين في بطن أمه يتكلم ويشهد ضدها ويدلهم على مكان السكينة.

– إذن فالشخصية البطلة تحضر دائما بالصورة الحسنة الدالة إلى الخبر ـ صاحبة المعجزات ـ، والمنقذ الوحيد من أي مأزق، وهذه صورة دائما يرغبها الراوي والمتلقي حيث أن هناك كثيرا ممن يعانون الظلم والاضطهاد ولكنهم لا ينصرون وحقوقهم تذهب هباءا منثورا، فقد استحضر الراوي الشخصية البطلة بصورة المخلص والباحث عن الحق، ورغم أن هذه الصورة دائما توضع للولي إذ يوكلون له القدرة على ما يعجزون عنه، إلا أنها ليست صورته الحقيقية مما يجعلنا نقول أن الجانب الغائب في الشخصية هو صورة رسمها الراوي أو الخادم والمريد ووافق عليها المستمع، وهو من مناصريه في أغلب الأحيان، ويحاول أن يبين أن الشيخ قد يعلم بحدوث أشياء لا يعلمها الشخص العادي، وعلى المريد طاعة شيخه كما يطيع العبد ربه، وهنا الشيخ مجرد وسيط رغم تلك المعجزات التي أيد بها، خصوصا قدرته على إنطاق الجنين في بطن أمه. وعلى الإنسان ألا يثق في أي كان، كذلك لا يترك الدعاء في أي وقت، فمن يدعوه في الرخاء كان معه في الشدة.

ففي هذه القصة كان حضور الشخصية البطلة يتساوى مع غيابها أحيانا، وأحيانا يسيطر ذلك الغياب حين تدخل المعجزات والخوارق، ومع ذلك كان حضورها ملفتا ومقنعا تتخلله بعض الرسائل التوجيهية التي يرسلها الراوي من حين لآخر.

قصة أولاد نهار

تروي هذه القصة حكاية وحشية التي ولدت أربعين صبيا في ليلة واحدة، حيث يقول الراوي: أولا نهار أربعين واحد جابتهم مرا في ليلة وحدة، وحشية خالية دار عندها إلا لبنات، قالها راجلها، نحتاج ولد وألا نطلقك، ولات تروح تصلح في القبة نتاع سيدي عبد القادر، ظهرلها وحد النهار تخيلاته جاءها على صفة بشر، قالها علا واش راكي اديري هاك قاتله راو قالي نقتلك، قالها: إنت شاتية أولاد، قاتله: أنعم: قالها: أنا نشرط عليك شرط، أعطيني ربعين ريال نديهم لسيدي عبد القادر

الجيلاني وراكي تولدي إن شاء الله تجيبي ولد، قاتله: ياسر ما عنديش هاذم، الكاينة آني داستها في صرة، آيا قاتله هاك، إذا كنت لص وأديتهم ربي وكيلك، وإلا راح تديهم لسيدي عبد القادر، لما مدتله الربعين الريال قالها: روحي أصلحي الدار راه ربعين الريال بربعين ولد، لما زادوا الربعين ولد، سموهم ولاد نهار لأنهم زادوا في نهار واحد، لما زادت الربعين ولد ظهروا بقاو غير زوز والباقي كرامة، قعدو هذوك الزوز أولاد سموهم ولاد نهار.[1]

كما يضيف الراوي أن القصة كانت عبارة عن قصيدة يرويها الرواة وذكر لنا هذه الأبيات:

خـــوني يـــا ولاد بـونـا

أنا ســيدي رضى علـيّ

في ليــلــة من المفضلين

جـــمـــاعة دايـريـن بيّ

هـــام شـبان حاضــريـن

قــالــولي مــال سـيــدك

مـفــتاح الخير راه بيــدك

وإنـت غـادي بـلا عوين

نــوريـــلـــك الــعاقـــل

على حلول يو لخصايل

تيـناشـة حـالما ميـهـدل

جابت لبنات يـاســرين

هريـت لبنـاه يلحـمايل

هــو والي شيــخ ظــاهر

عنـده خصلات ظاهرين

[1] الراوي عبد الحميد قليدة. بيت الراوي. 2015/08/31 سا8.30.

قاللـها وش بيـك جيـني

وألا جـيـني مـع الزائرين

منـين هـربتي لـحرم بيـني

يدي خصلات ظـاهرين.[2]

تحليل القصة:

تحكي القصة عن ولادة أربعين طفلا في ليلة واحدة وهذه في حد ذاتها معجزة لم يسبق لها الحدوث، فالأم كانت لا تلد إلا بناتا ولكن تدخل الشيخ جعل منها أما لأربعين طفلا في ليلة واحدة ليتحولوا فجأة إلى طفلين فقط ويختفي الباقي في لمح البصر لتبقى فقط معجزة يتحدث عنها أهل الغرب.

وأولاد نهار كل يقول الراوي "عبد الحميد قليدة" أنهم من ينسب لهم الفلكلور في الغرب وهم يتميزون برقصة خاصة وطابع تراثي مميز مازالوا لحد الساعة يعرفون به.

فالشخصية البطلة في هذه القصة يصفها الراوي على أنها ملك وليس من البشر، حين يقول أنه: "تجسد لها في هيئة بشر" ومعنى ذلك أن الشيخ عبد القادر ليس من البشر وربما من الملائكة المطهرين، فشبه طهره ونقاءه بالملائكة لدرجة أنه جعله ملكا منهم يتصور لخادميه في صورة بشر.

وهذه الصورة التي وضعها الراوي للشخصية تجعلها غائبة، فالشيخ عبد القادر بشر عادي كباقي البشر، له وجود في زمن معين، رغم أن الراوي جدد حضوره وبرر وجوده في زمن غير زمنه، بل وأعطاه صفة أخرى جعلت من صورته تختلف عن أصلها الذي كانت عليه، فهذا الحضور الذي يحدثه الراوي فجأة يغيب الشخصية فعلا لأنه يخفي ملامحها ويغيرها، كما يتصرف فيها بإرادته وكيفما شاء.

فالحضور الاضطراري في القصة كان كافيا ليظهر لنا مدى اعتقاد الراوي في شيخه، رغم تنكر الشخصية في حد ذاتها له، فهي تدعي أنها عامل لدى الشيخ عبد القادر وليس هو بذاته.

[1] التيناشة: التي ليس لديها أولاد ذكور.

[2] لقاء مع الراوي عبد الحميد قليدة. الذكار. 8.30/2015/08/31.

وفي القصة ملامح لقصة سيدنا عيسى عليه السلام حين جاء الرسول وأخبرها أن الله سيرزقها بولد بكلمة منه.

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ ﴾ [1].

إذن جاءت الشخصية البطلة على سورة ملك وليس بشر وهذه هي الصورة الجديدة المكتسبة من خلال وصف الراوي.

قصة الولي الجنين

تروي القصة معجزة الولي وهو جنين في بطن أمه الطفلة الصغيرة عندما قصدت الغابة لتحتطب فظهر لها أسد، ولما أخذها الرعب نادى من بطنها وطمأنها، وطلب منها أن تستخدم الوحش مطيّة تحمل عليه الحطب إلى مسكنها، واستكان الأسد بفضل معجزة الولي الجنين، وأصبح مثل حمار ـ على حد تعبير الراوي ـ وحمل البنت إلى بيتها.[2]

تحليل القصة:

البطل دائما في جميع القصص وقصص البطولة خاصة له من الخوارق ما يجعله مختلفا عن باقي أبطال الحكايات الأخرى والقصص والبطل في هذه القصة ليس مرئيا ولكنه موجود يستطيع المرء أن يشعر به فهو جنين في بطن أمه يطمئنها من خوفها، ويطلب منها الاطمئنان، فيكون مساندا لها وداعما وهو في بطنها جنين فكيف إن كان بطلا مقاتلا له وجوده ووزنه، وهذه مبالغة كبيرة من الراوي، فلم ينطق الجنين من قبل وإنما تكلم سيدنا عيسى عليه السلام حين ولد وخاطب أمه أن تهز النخلة، قال تعالى: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ

[1] سورة مريم ـ الآيات (16 ـ 19).

[2] عبد الحميد بورايو. القصص الشعبي في منطقة بسكرة. ص114.

عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

ونلمح في هذه القصة صورة جديدة للبطل وحضور خاص للشخصية البطلة تجسد في جنين يواسي أمه كما فعل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام حين ولادته، والفرق أن بطل هذه القصة لم يولد بعد ليثبت الراوي أن كرامة الولي تظهر مازال جنينا وهذه من صفة الأنبياء ليحاول الراوي في كل مرة العودة إلى الوقائع السابقة في حياة الأنبياء والأبطال الحقيقيين الذين ذكرهم التاريخ مجسدا بطلة بالصورة التي يريدها معتمدا على وقائع ماضية وحقيقية ليدعم أقواله وليرسخ صورة بطلة في أذهان المتلقين أن وصفها بالقداسة في جميع مراحل العمر.

قصة لالا ستي وعبد القادر الجيلاني

يقول الراوي: هذي ستي جات رايحة للحج تخلاّ وعليها الرّكب نتاعها وبعد جاها سيدي عبد القادر الجيلاني، المهم قَتْلِلْهَا الجمال الكل. شيباني لفاته في الطريق، يطلب يقلها اديني معاك يركب فوق الجمل بِدَقْدَقْ، عندها مرحول نتاعْ الجمل دَقِدْقَه زاد العَوِّد دَقِدْقَه، زاد الوصيف دَقِدْقَه، زاد الخادمة دَقْدَقْها، قالها اديني فوق ظهرك كان عندك النيّة وسيدي عبد القادر الجيلاني قاتله تفضّل، ركب فوق ظهرها دَقْدَقْها، ومن بعد راح عليها وخلالها، ورجع عليها رجوع كلي متحشم، نوّضها ناضت، بمرحولها ولحَّقها إلى مكّة[2].

تحليل القصة:

يستحضر الراوي هنا الولي في صورة شيخ كبير يطلب المساعدة ولكنه لم يكن إلا نحسا على العجوز التي حاولت مساعدته، وحين رافقها لم يلحق بها إلا الضر والأذى، ومع أنها خسرت كل شيء إلا أنها لم تتراجع وحاولت حمله على ظهرها كي توصله إلى مكة، فكسر ظهرها، حينما تخلى

[1] سورة مريم. الآيات 23 ـ 26.

[2] الراوي عبد الحميد قليدة، الذكار، 31-08-2015 سا 8:30.

عنها وأكمل طريقه إلا أنه رجع لها مستحيا منها، وأعاد لها ما خسرته وساعدها في الوصول إلى الحج.

كانت الشخصية التي تمثلت في الشيخ ما هي إلا صورة للشيخ عبد القادر الجيلاني تجلت للعجوز، فكان مختبرا لصبرها ثم لولائها، وبما أن الخير بداخلها كبير لدرجة أنها بقيت مصرة على مساعدته رغم كل شيء، فقد كافأها على صبرها وولائها وإخلاصها.

فكانت الصورة الجديدة التي ظهر فيها الشيخ عبد القادر صورة جديدة تماما لأنه كان في البداية رجل سيء الطالع ما وجد إلا للأذى، ليوضح لنا فيما بعد أن الشيخ تنكر في هيئة أخرى حتى يختبر مريده، ويعرف مقدار صبره وولائه.

فكان جزاء صبرها شفاء الركب بأكمله وشفاءها ثم مساعدتها في الوصول إلى مكة ولحاق الركب الآخر الذي سبقها.

ففي القصة جملة من الخوارق جعلت للشخصية حضورا آخر فكانت مؤيدة بالكرامات كشفائه للركب ثم لحاقه بالحجاج في وقت قصير، وهنا ملامح لقصة سيدنا أيوب عليه السلام الذي خسر ماله وولده، لكنه بقي صابرا فجازاه الله برد ولده وشفائه من مرضه حين دعى ربه أنه مسه الضر.

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ [1].

فبين الله لنا جزاء الصبر على البلاء والرّضى بقضاء الله وقدره. فالشخصية البطلة التي تجسدت في الشيخ عبد القادر الجيلاني حملت كثيرا من ملامح البطولة جسدت لنا العبد الذي يخطي ويصحح

[1] سورة ص، الآيات 41-42-43-44.

أخطائه فكانت كفكرة أو إشارة توجيهية، ورسالة بسيطة يرسل بها الراوي إلى مريدي الشيخ، فحضرت الشخصية لتبين أن من يواليها ويخلص لها يلقى جزءا كبيرا، وأن الصبر على الابتلاء له مكافأة يكافئ بها الله عبده عن طريق الولي فهو الوسيط بينها والمتصرف في أمور مريديه.

ورغم ملامح البطولة التي اكتسبتها الشخصية خصوصا الملمح الديني أو المعتقد والكرامات أو الخوارق، والأخلاق النبيلة إلا أن حضورها كان باهتا وغلب عليه الغياب، فلم يحضر الشيخ بذاته بأوصافه وجسده وإنما حضرت روحه وتجسدت في صفة أخرى، وقامت بعمله، فقد حضر بالفعل وغاب جسدا لأن المريد يصور وليه في أي صورة ويجعل منه غنيا أو فقيرا، رجلا أو شيخا فالمغزى ليس في شكله وإنما في بصمته.

2- قصص الأولياء المحليين:

قصة سيدي منصور الكبريت وأبناءه

تقول الرواية أنه ولد من أب إنسي وأم جنية، أبوه الحسن البصري، وبعد وفاة والده عاش بتيارت، حين ضحك عليه بعض الأولياء واستهزؤوا به أطفأ عليهم النور عقاباً لهم فجاءوا وطلبوا منه السماح فأعاد لهم النور بضربة لحجرين من الصوان، وقد اشتعلت منهما النار وتناثر الكبريت، فأخذ كل ولي نصيبه، عندها سمي هذا الولي لصلح سيدي منصور الكبريت.

أما قصته مع الراعي فقد كان يتجسد في شكل رجل أسود ويشرب حليب البقرة كل يوم، وعندما اكتشف الراعي غياب البقرة حاول مراقبتها فعرف أنه من يقوم بشرب الحليب فأخذه إلى بيته وأكرمه، وقد كان أصحاب البقر علموا بنقص الحليب فاتهموا الراعي بخيانة الثقة والسرة.

وأثناء رحيلهم امتنع الراعي من الذهاب معهم، فكان الشيخ الكبريت يشير على الرحيل حتى يعطوا للراعي من أغنامهم وأبقارهم حتى أصبح لديه قطيع من الأغنام والأبقار كذلك الإبل.

أصبح عمارة خادماً للشيخ الكبريت فأقام له خيمة وذهب لأحد الأولياء يخطب ابنته للشيخ، فكان شرط الولي المبارزة مع سيدي الكبريت، وأثناء المواجهة غلب الولي ابن الفتاة حيث أطلق عليه الشيخ الكبريت سهامه وقسم رايته إلى نصفين، بعد أن أرسل هذا الولي أيضاً سهامه فأطلقت البارود من رواية الشيخ الكبريت وتحول إلى تراب بارد تناثر عليه لحكمة إلهية.

وقد ورث أبناءه الولاية فكان منهم من يفك النزاعات، حيث تنازعت إحدى العائلات فيما بينها فأرسل لهم ابنه علال فانفجرت عيون تحت أرجل الحصان وغمر الوادي المكان الذي أخذ ظلما.

كما تنازع أبناءه في أحد الأيام (علال بن عافية وأحمد بن شهرة) فأشار هذا الأخير على عين أخيه فعميت وجاء الشيخ مسح عليها فأبصر[1].

وكانت هناك امرأة لا تلد فدلّها ابنه علّال إلى زاوية أبيه والمبيت فيها، ففعلت ما أمرها به، ورزقت الولد بدعاء الشّيخ[2].

تحليل القصة:

إذا نظرنا للقصة نجدها تتكون من عدة مقاطع على حسب مسيرة الولي، فالراوي ذكر كل تفاصيل حياته بداية من الولادة فقال أنه من أب بشري وأم جنّيّة، ويحيلنا هذا إلى الأساطير التي كانت تروى عن الأبطال الذين عرفوا في العصور القديمة وكانوا ينسبون إلى الألهة، وتكن لهم قوى خارقة.

ومحالة من المريدين إثبات قداسة أوليائهم يأتون بقصص تشبه الأساطير فيها الكثير من الخيال، وتستبدل الجن بالآلهة لاختلاف الاعتقاد فيها الكثير من المريدين إثبات قداسة أوليائهم الجن بالألهة لاختلاف الاعتقاد والوعي الديني، لكن تبقى المخلوقات غير المرئية عنصر مشترك بين الأساطير

[1] ينظر. علي كبريت. موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت، ص (84-89).
[2] ينظر المرجع نفسه، ص 89.

وقصص الأولياء التي تشبه الحكايات الخرافية لما تشتمله من خوارق ومبالغات، لذا حضرت شخصية الولي في صورة بطل مؤلّه، لتغيب صورة البشر العادي الذي ينحدر من سلالة بشرية.

ثم تأتي قصته مع الراعي الذي جعله بين ليلة وضحاها يمتلك قطيعاً من الأغنام والبقر والإبل، مما يجعل من الراعي خادمه. وحين يتبارز مع ولي آخر يجعل من ناره برداً عليه، وتوحي هذه الكرامة إلى قصة سيدنا إبراهيم الخليل مع النار حيث جعلها الله برداً وسلاماً عليه، فالرّاوي يقول أنّه حوّل البارود تراباً بارداً لحكمة إلهية.

يقول تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [1]، وهي محاولة أخرى لإثبات قدرات الولي الخارقة وقداسته، أما المقطع الثالث الذي تخاصم فيه ولديه سيدنا عيسى على عين المصاب ردّه بصيراً، فهذا إيحاء لقصة سيدنا عيسى والمعجزة التي وهبها إيّاه الله سبحانه وتعالى بأن يبرئ الأكمه (الأعمى)، وهذه المعجزة ذكرت كثيراً وتكررت ككرامة للأولياء حتى آمن بها الناس.

قال تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [2].

وهنا يتم حضور الشخصية البطلة بصفة أخرى وبصورة نبي من أنبياء الله فقد أخذ معجزاته ونسبت إليه ككرامة.

[1] سورة الأنبياء الآية رقم 96.

[2] سورة آل عمران، الآية رقم 49.

أما المقطع الأخير الذي به يكون الولي ملجأ إلى المضطر ووسيطاً بين العبد وربّه وهذه من صفات الأولياء التي جعلها المريد لوليه وملأه الاعتقاد بها، وأنه إن احتاج إلى أمر أو أصابه نقص، فعليه اللجوء إلى الولي فدعوته مستجابة، وهو الأقرب إلى الله منه.

فشخصية البطل حاضرة بالصورة التي أرادها الراوي والخادم وهذا الحضور يلغي غيابها الذي يجعل من حضورها مختلفاً وعجائبياً، تحيط به الخوارق والمعجزات، وهذا الحضور رغم بصمته التي تركها في القصة إلا أنه يعدّ غياباً لأنّ الرّاوي يتكلم عن شخصية معينة بصفات شخصية أخرى.

الخاتمة

إننا جميعنا نتوق إلى زمن المجد والبطولة زمن علت فيه القيم حيث وجد من يدافع عنها ويحميها برز فيه رجال تميزوا بالقوة والشجاعة، الحكمة في تسيير الأمور وتنظيم الحياة، فغيروا مجرى التاريخ وخطوا بأعمالهم تاريخا مضيئا جعل الأمة الإسلامية والعربية تفخر به، فكنا نتوق إلى ذلك الزمن في لحظات شعرنا فيها بالخذلان من أنفسنا والمجتمع، فقد تغيرت الموازين وانصرف حكمها للذين حاولوا محو تعاليم الدين وطمس الهوية التي نفخر بها، فما كان من الرواة الذين يحملون في صدورهم هذه البطولات إلا أن يعيدوها بشكل آخر حتى لا يتم طمسها من جديد، وبما أن هذا مجال دراستنا، فقد رأينا أن العربي يبقى يفتخر ببطولات أجداده وأمجاده ذلك الشوق الذي يملؤه إلى عالم كانت فيه للدين والهوية الأولوية، فدافعوا عنهما دفاع الأبطال.

- وأن عودة هذه القصص والحكايات عن البطل العربي ليس للتسلية والتباهي بزمن مضى فقط، وإنما لتحفيز الشعب ودفعه للمحاربة عن دينه وأرضه.
- وأن البحث عن الصورة الأفضل التي يرجو أن يكون عليها العربي من خلال رسم صورة مشرفة وخاصة للأبطال الذين يعتبرون أنهم قدوة لهم.
- الأهمية التي كانت لهذا القصص البطولي في عهد الاستعمار دفعت هذا الأخير إلى محاولة منع القصاصين لأداء هذا القصص.
- ورغم انتشار العلم والوعي يبقى الإنسان يحن إلى ماضيه ويصدق تلك المعتقدات التي نما عليها الأجداد.
- بحث المجتمع دائما عن بطل يحقق له ما عجز عنه من أعمال وآمال وأحلام يطمح لها.
- الميول والرغبات أحيانا تتجسد في إنسان يقوم بما رغب فيه صاحبها.

الملاحق

قليدة عبد القادر المولود 1896م المدعو بوحباكة، ولد ببلدية حساني عبد الكريم المعروفة قديما بالبهيمة عاش وتربى بها على يد أمه وكانت كفيفة البصر فهو لم يحض بحنان الأبوة فقد مات أبوه وهو في الرضاعة عن عمر يناهز 130 سنة، وقد كبر بدون تعليم فعاش أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وعند بلوغه سن 15 سنة هاجر وأمه وإخوته عائشة والعايش إلى ولاية بسكرة وكان هو الأصغر بينهم حيث وجد في هذه الولاية الحلم الذي كان يبحث عليه فبدأ بالتعلم على آلة الرباب الموسيقية وهي عراقية الأصل فتعلمها وأتقنها هو وبعض من الأصدقاء ثم هاجر وحده إلى ولاية سطيف ليجد الشيخ والشاعر الكبير المدعو بن مبروك والذي تعلم على يده القصائد والغزوات والمدائح الدينية وكانت طريقة التعلم سمعية فقط، وبعد التعلم احتك بصديق له كان يدعى عيسى الجرموني واشتهرا معا وذاع صيتهما في الشرق الجزائري وكان هذا خلال 1930 إلى غاية 1940، فبعد ذلك استدعته المنظمات الثورية لإبلا غ الشعب الجزائري عن أهمية الثورة والدعوة إليها وهذا كان عن طريق تنظيم حلقات في الأسواق الجزائرية ونشر هذه الدعوة وكان هذا عند بداية الثورة المباركة سنة 1954م إلى غاية أن ألقى القبض عليه من قبل المستعمر الفرنسي سنة 1959 في منظمة الوادي بدائرة الدبيلة وحبس بها ومنع من مزاولته لمهنته إلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962م، فعاد إلى مشواره المهني، وتوقف تماما على العمل في سنة 1979 عن عمر يناهز 83 سنة، وتوفي سنة 1982 بالمركز الريفي الذكار بلدية حساني عبد الكريم دائرة الدبيلة ولاية الوادي.

قليدة عبد الحميد المولود في 1948/08/30م بالبهيمة، ولد ببلدية حساني عبد الكريم المعروفة قديما بالبهيمة عاش وتربى بها وذلك على يد أبيه الشيخ عبد القادر بوحباكة وأمه، ودرس بها في ابتدائية تجيني الطاهر بحساني عبد الكريم إلى غاية السنة الرابعة ابتدائي وقد حضي بتعليم القرآن الكريم على يد الشيخ العلامة محمد بن دريس، ثم بدأ التعلق بأبوه وحب المهنة التي يزاولها فعلمه العزف على الآلة التي يستخدمها ألا وهي آلة الرباب والحضور معه في الكثير من حلقاته التي كان ينظمها في الأسواق فتعلم منه القصص والغزوات والمدائح الدينية وكان أبوه يشرح له الأشياء التي لم يفهمها ويعلمه الدروس الدينية فشرع في هذه المهنة وكان عمره يزيد عن 19 سنة ثم سافر إلى الغرب الجزائري سنة 1974 فوجد الكثير من الأصدقاء فاحتك بهم منهم أحمد وهبي وبلاوي الهواري والشيخ المماشي ومحمد بن الخياطي، واشتهر معهم ثم خرج إلى بلاد المغرب ليتعلم بها الغناء والتقى بالمغني محمد البركاني فأنشأ معه تسجيلات موسيقية وأشرطة، فرجع إلى الجزائر سنة1981 فاستقر في مدينة تيسمسيلت وتزوج بها مدة 08 سنوات ثم غادرها بسبب التهديدات المستمرة من طرف العناصر الارهابية وذلك بسبب مهنته التي يزاولها حيث قامت بقتل المجموعة التي كان يعمل معها وتهديده هو أيضا فابتعد إلى مسقط رأسه مدينة وادي سوف في سنة 2000 واستقر بها إلى يومنا هذا.

يا بوعلام راعي الحمره

يـا بـوعـلام راعـي الحـمره إلا غـديت مـا تبـطاشـي
شـور لـخديـم دّور دوره عـلـى لحـبيب مـا تغـفلشي
صحبة بـلانيف خـسـارة خـلطـة نـقول ما تسواشـي
أنـا نـقـول سيـدي نعره عند لـملاح بـيك نـعاشي
أنـا بغيـتـلك مـعيـرة عقبة بغيت عنـد الغاشـي
نبغي نقول جرحـك يبرى والـضـر ونقول ما يبطاشي
الضـر دار مـثـل الـودرا منـه مـريض وأنـا نمـشي
وصبرت ذاك حـد الصبرا حشمـان بيه ما نهـدرشـي
يـا بوعـلام دايـرك سبـة لله قـول تـبـرى الـحـبّة
زُرْت لِـقْـبَـابْ قُـبَّة قُـبَّة بالـي تكون في مكـتوبـي
لـيـام فـايتـه محـسوبة بينـا مـداولـة بـالـنوبـة
المـر ويـرجـى المـكـتـوبـة والسعـد عند سيـدي ربّي
والسعد عند عالـي القـدرة حاجة عليـه ما تخفـاشـي
بـاغـي نسولـوا الشعـراء كي الأحرار كي اللي حبشي
اللي لقاه يعطـي المـارة كـي بـن عمـار والعـياشـي
بـاغـي نـروح البلّحـول قالـوا معـاه داروا خـصـايل
يعيد لي على هذا الراجل وأنـا بـدمـعـتي هوطـالـه
عـييـت بالكـلام نـمثل وهـو بـقـى عـلـيّ غـافـل
هـو عـلـى لخـديم طـول يشوف نـيته كـي تـتبـدل
كـان خـديم وألا بـطّـل ويـجـربـوا كـل مـسالـى
نـوبه يجـي يمشي سـايـل نـوبـه يجـي غـلام أكـحل
نوبـه يجـي شيـخ مـدربل قـطب لـقـطـاب بـودربـاله

فضلون العابد:

هذا الفضل بن العباس بن عم الرسول-صلى الله عليه وسلم- وصى عليه الإمام علي هو والسيد تميم الدار اللي خطفوه الجنون قعد في بير العلم وسلكه الإمام علي.

وصى عليه الرسول وقال كاين بنات النجار وحدة اسمها حذيفة بنت النجار أي تتهم الشيباني هذا بالزنى ويحكمو عليه في زمان عمر بالقتل. وصى عليه الإمام علي قاله: سلكه إن شاء الله راك تسلكه. وهذا الشيباني مع جاته الطفلة للجبانة لقاته إنسان زهدي لا عنده مرأة ولا أولاد إنسان يعبد إلا الله ويخرج إلا نهار الجمعة للجبانة ويقرى على الموتى وتبلات هذي البنت هذي وطلبت منه الزواج قالها أنا خمس وثمانون سنة ما نقدرش نتزوج بيك، طلبت منه العصيان قاتله نعطيك الدراهم وصدق قالها كيفاه نقطع عبايني ومبعد نعاود نخيطها؟ كيفاه أنا نعصي الله ومبعد تعطيني تقوليلي صدق، قاتله شوف: أنا نفعل فيك مانريد قالها إفعلي ماتريدي، وغمزت عليه مرأة كبيرة في السن وجاباته بخدعة للدار وطلبت منه الزواج أو العصيان، قالها ما نعصيش ونتزوج بيك لما خرجلها من الباب هرب عليها صد المكه مابين مكة والمدينة كاينه أربعمائة وخمسين كلم، هو خرج على كرعيه، لحق عليه ركب فيه خمسمائة تراس، القائد نتاعهم سيدنا سليمان ولد شاب قائد على هذاك الركب وهي سقسات عليه ما لقاتوش، لحقت حتى هي على هذاك الركب، ولما لحقت بيه في الركب هذا طلبت منه الحوايج هذومه لثنين قالها لا. في الليل قلعت ذهبها داراته في مشوار وغمزت الخدام نتاعها، ياخي كانوا يتخذون الوصفان عبيد.

قاتله: شوف إمرد على إيديك وكرعيك وروح وين داير العوينة نتاعه ودير له المشوار هذا نتاعي وناضت الصباح تندب تبكي، لما جاها الركب.

قالولها: علاه؟

قالتلهم: راني اتسرقت.

قالها: خلاص الشاهد أقوى دليل ذرك نحوسهم قاع وإنت تشوفي.

حوس قاع مالقاش قالها: مالقيتش

قاتله: الشيباني.

قالها: صاحب محمد خمسة وثمانين سنة عمره.

قالها: كيفاه يسرق؟

قاتله: حوس، إذا ما حوستوش الذنب نتاعي إنت تديه.

لما حوس لقى عنده، ولّاو يضربوا فيه يدفلوا عليه راجل كبير مسكين عولوا على باه يضربوه، قالهم الأمير: ماتمسوه ما والوا إنتم أشهدوا بشهادتهم قدام عمر بن الخطاب لما نرجعوا، باللي سرق وخلاص، مشات نصيب في الطريق وساماته.

قاتله: شفت ما فعلت لك.

قالها: بارك الله فيك.

- تتزوج بي.
- قالها: لا.
- قاتله: الليلة نديرلك مصيبة أكثر.

والليلة الثانية لما حطوا، عندها قرعة معمرة بالأعشاب يقولولوا البونج السيكران اللي يخدمو منه ذرك هذاك السيكران عطاته للوصيف وقاتله: ديرهاله في نيفه، وهاتلي الشيباني بذاته جابولها الشيباني بذاتها وش دارت هي، قتلت وصيفتها ذبحتها قتلتها وقالت للوصيف: هز الجمال وبعد مش ما تكونش حاضر في الجريمة ومنين عاد قريب الفجر عيطت، لما جاو الحجاج لقاو الشيباني معاها خطفوا الشيباني خرجوه برا، مبنج الشيباني لما جاباته الفوقة لقى روحه عريان، ولى يستر في روحه، قالتلهم: –هاهو ما فعل– زنى معايا وقتل الخادمة معناه عاد يموت ذرك لازمه يموت.

قاللهم سيدنا سليمان: هذا ما تقتلوه ما تمسوه ديروله طارفه في الرقبة وربطوه برا من مكة وما تخلوش يدخل مول هذا الفعل، وأعطوه يطعم وعطوه يصلي، ولما نرجعوا لعمر أشهدوا الخمسة: مائة أشهدوا بالي سرق وقتل روح وزنى.

كان الأمر هاكداك، لما رجعوا الغاشي خرج يسنى في الحجاج كيما نسنوهم حنا، عمر بن الخطاب خرج يسنى فيه هو لما سألهم عليه غضبوا.

قالوله: الشيطان تسقسي فينا عليه!

قالهم: اتقوا الله. الشيباني صاحب محمد يدير هكا.

قالوله: أرواح تشوف وش دار؟ سرق وقتل وزنى مع حذيفة بنت النجار.

وبكري كانوا يروحوا في ست أشهر ويجوا في ست أشهر، ماجاوا راجعين كان ظهرت كرشها، هي من وصيفها ودارتها في الشيباني بش تقتله، لما لحق ليه عمر لقاه وجهه مش نتاع جريمة، خزروا ليه قالهم:لا. الشيباني وجهه نور ما شاء الله، قالولوا: آو عندك.

قالهم: خلاص. اللي شاف يفوت واللي سمع يريح. قبل السمع كاذب باطل مولاه، فاتت الخمسمية (500) شهود معناه نبي يقدروا يكذبوه يكذبوه الخمسمية.

قالهم: كتفوه من إيديه وكرعيه عروه، أستروا عورته وروحوا سحبوا فيه ممكن لما تلحقوا للمسجد يموت نقبروه.

وفعلوا له هذاك الفعل ولما لحقوا للجامع لقوه مازال حي، خرجوله النعش داروه فوق منه باش يقبروه، يقتلوه يحكموا عليه أو يرجم أو يجلد، حتى أذن الآذان لما أذن الآذان راح عمر والصحابة يصلوا، الشيباني قعد يتخبط طاح. رجعوا بعض من الشبيبة غاروا عليه.

قالوله: الشيخ غير قول وش طالب؟

قالهم: ما طالب والوا. اعطوني الماء نصلي برك ربي مايسالني حتى وقت لما راني مكتف ياسر أعطوني اميهة.

لما عطاوه الماء، شاوروا عمر قالهم ما يدخلش المسجد، يصلي برا لما ركع سجد للأرض قعد يبكي ويدعي هنا السيد علي كان في الكونڤفة (الكوفة) في جيهة العراق يقولوا كان راقد سمع الصوت نتاع الشيباني الفضل بن العباس.

وقف قال: هذي وصية من وصايا رسول الله لعلي ناض يسرح في العود نتاعه جاه وصيفها يقولوله غنبور. قالوا: ياسيد علي وين ذاهب؟

قالوا: للمدينة راح نسلك صاحب رسول الله.

قاله: إديني معاك.

قاله: الوقت ما يلحقنيش.

قاله: قتلك إديني معاك.

قاله: شد تابع العود (الذيل) وأخزر غير في الحوافر تخزر من وألا من آك الطير في واحد الجبل. إن شاء الله بإذن الله ذرك نلحقوا عليه ونسلكوه وإذا ما سلكناش الشيباني يذنبوا كل الناس اللي شهدوا حتى عمر، هوما اللي يسلكوه ماشي هو.

ولما خرج عمر من الصلاة لقى السيد علي عند راس الشيباني.

قاله: ماذا فعلت؟ قعد يبكي الشيباني.

قاله: ما فعلت حتى شيء ياعلي.

قاله: خلاص.

لما لحق عمر سأل علي قاله: إنت فايت طريق أوجيت زيارة أوجيت للشيباني.

قاله: جيت للشيباني يا اللي حكمتوا عليه الكل كذب.

قاله: خمسمية.

قاله: هاتها هي تجي.

بعث لها الوصيف جابها، خلتهم قاع وراحت للشيباني قاتله: قاع هذا الشيء اللي فعلته وراك تبكي وتقول راني مظلوم.

قالها الإمام علي: اهداي عليه، هو راهو ميّت. قوليلي الحقيقة ومن تاب تاب الله عليه. نلقولك فتوة إن شاء الله ونسلكوك.

قاتله: هذا هو أولها مع آخرها. سرقلي مالي، زنى معايا، قتلي خادمني.

قالها الإمام علي: خلاص كمّلتي.

قاتله: كمّلت، هذه النهاية.

عيّط علغنبور بعثه لعائشة أم المؤمنين جاب (القضيب) العصا اللي يخطب بيها الإمام نهار الجمعة. العصا هذي نزلت عن سيدنا موسى (العصا لمن عصا يا موسى) وقعدت سنة لليوم يخطب بيها الإمام في المسجد.

قاله: جيبلي القضيب انتاع رسول الله.

جابله القضيب نتاع رسول الله. دار البنت قدّامه غطّاها، صلى زوز ركعات بيه بالحجاج بعمر بن الخطّاب. وحط القضيب نتاع رسول الله وقاعد يدعي في ربي بإذن الله هذاك الصبي تكلّم، الإمام علي قاله: أُمّاهي اللي حرقت فضلون بالكذوب والصبر للعالي.

قاله: وإنت منهو بوك؟

قاله: وصيف أمّا بويا روحاني، وصيف أمّا هو اللي ابني.

قالهم الإمام علي هزوها نهار اللي تولد الصغير لا ذنب عليه وهي حكموا عليها بالقتل بالجلد وألا بالرجم.

الشيباني سلك، الحجاج سلكوا ولّوا يبكوا عمر والشهود ندموا قاع ندام قالوا يا ويحنا غرقنا وسلكنا علي.

الشيباني قعد ثلاث أيام ومات من ذاك العذاب. صاحب رسول الله من الكران اللي كرّوه وهي أدّوها بعدما ولدت حكموا عليها بالقتل بالجلد والرّجم.

- الراوي عبد الحميد قليدة، الذكار، الاثنين 31 أوت 2015.

الربابة: ألة موسيقية يستخدمها الرواة في المغازي

الراوي عبد الحميد قليدة

قائمة

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

الرواة:

- عبد الحميد قليدة: العمر 67 سنة- الذكار- حساني عبد الكريم-وادي سوف.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت.

2-أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الدار التونسية، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، دت.

3-أحمد زغب، الأدب الشعبي، الدرس والتطبيق، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2008.

4-أحمد سويلم، الشخصية العربية في التراث العربي، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2009.

5-تقديس الأشخاص في الفكر الوفي، محمد أحمد لوح، الجزء 2، دار ابن القيم، دار ابن عفان، مصر، د ط، 2002.

6-ثريا التجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري، وادي سوف أنموذجا، دار هومة، د ط، د ت.

7-جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو وجماجم والجبل لمصطفى فاسي (مقاربة في السيميائيات)، منشورات الأوراس، الجزائر، د ط، 2007.

8-روزلين ليلى قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2007.

9-روزلين ليلى قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1980.

10- سامية حسن الساعاتي، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1983.

11- سلمان عبد الواحد، مبادئ علم النفس العام، مؤسسة طيبة، القاهرة، ط1، 2011.

12- سيد يقطين، السرد العربي، مفاهيم وتجليات، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، 1980.

13- شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، مصر، د ط، 1970.

14- عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، سحب الطباعة الشعبية للجيش، د ط، 2007.

15- عبد الحميد بورايو –الأدب الشعبي الجزائري- دار القصبة، الجزائر، د ط، 2007.

16- عبد الحميد بورايو، البعد النفسي في الأدب الشعبي الجزائري، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2008.

17- عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، سحب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

18- عبد الله الوكيبي، القصة الجزائري القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2009.

19- علي كبريت، موسوعة التراث الشعبي لتيارت وتيسمسيلت، ج1، دار الحكمة، د ط، 2007.

20- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخاً وأنواعاً وقضايا وأعلاماً.. ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2009.

21- الفتح الرباني والفيض الرحماني، سيدي عبد القادر الجيلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980.

22- كارم محمود عزيز، البطل الشعبي، مكتبة النافذة، مصر، ط1، 2006.

23- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، د ط، د ت.

24- محمد أبو الفتوح عفيفي، البطولة بين الشعر الغنائي والسيرة الشعبية، سيرة عنترة بن شداد نموذجا، ايتراك، القاهرة، ط1، 2011.

25- محمد عزام، شعرية الخطاب السوري، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2005.

26- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار عودة، بيروت، د ط، 1986.

27- محمد فوزي كنزاي، فوزي بومنجل، العادات والتقاليد بين الرمز والممارسة (دراسة مونوغرافية بقرية البرابرة بالمسيلة)، التراث الثقافي، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2009.

28- ملتقى الأمازيغ، القيم الروحية في الثقافة الأمازيغية، منشرات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، د ط، 2011.

29- نبيلة إبراهيم، البطولة، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1996.

30- نخبة من أساتذة الجامعات العربية، دراسات في المجتمع العربي، ط1، 1985.

المجلات والبحوث:

1-حسين خمري، الظاهرة الشعرية العربية، الحضور والغياب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

2-ماهر الكتيباني، ثنائية الحضور والغياب في التفكير المسرحي، مقالات، مركز النور، 2012.

3-محمد مصطفى كلاب، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مجلد 20، العدد 1، 2012.

4-نبهان حسون السعدون، الشخصية في قصص على الفهاري، دراسة تحليلية، دراسات موصلية، العدد 30، 2010.

الرسائل الجامعية:

1-العربي بن عاشور، قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري، أطروحة دكتوراه، مخطوط، جامعة الجزائر، 2012.

2-فاطمة شكشاك، التراث الأسطوري في المسرح الجزائري المعاصر، مسرحية (مسرحية كل واحد وحكمو) لعبد الرحمن كاكي –أنموذجا- مذكرة ماجستير في الأدب الحديث، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، مخطوط، 2008، 2009.

3-ناصر صالح الحجيلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، دراسة نقدية، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، مخطوط، 1988.

الفهرس

شكر وعرفان

مقدمة..... .....أ

مدخل: الطرح النظري للشخصية البطلة

تمهيد.....5

1- مفهوم الشخصية.....6

أ- الشخصية لغة.....6

ب- الشخصية اصطلاحا.....7

2- أنواعها وأبعادها.....8

أ- أنواع الشخصية.....8

ب- أبعاد الشخصية.....9

3-مفهوم البطل.....10

أ- لغة.....10

ب- اصطلاحاً.....11

4-الشخصية البطلة.....12

الفصل الأول: أدب البطولة الجزائري وأشكاله

تمهيد.....15

1-البطولة مفهومها ودوافعها.....16

أ- مفهوم البطولة.....16

- لغة.....16

- اصطلاحا.....17

ب-دوافع البطولة.....18

2- أدب البطولة الجزائري وأشكاله.....20

أ- مفهوم أدب البطولة.....21

ب- نشأته.....21

ج- سمات أدب البطولة.....21

د- أشكال أدب البطولة الجزائري.....22

1- فن المغازي 23

أ - أصوله.....24

ب- العناصر المكونة للمغازي.....24

ج- شكلها.....27

2- قصص الأولياء.....30

أنواع قصص الأولياء.....34

أولاً : قصص كرامات أقطاب المتصوفة.....34

ثانيًا : قصص الأولياء المحليين.....35

3- قصص البطولة البدوية (السيرة الشعبية).....36

الفصل الثاني: الحضور والغياب في فن المغازي وقصص الأولياء

تمهيـد.....40

قصة فضلون العابد.....42

تحليل القصة.....43

غزوة وادي السيسبان 46

تحليل الغزوة.....47

أبناء الملك الأربعون والسيد علي.....49

تحليل الغزوة.....50

غزوة الخندق.....51

تحليل الغزوة.....52

غزوة فتح إفريقية.....54

تحليل الغزوة.....54

غزوة تلمسان.....56

تحليل الغزوة.....58

غزوة بير ذات العلم.....58

تحليل الغزوة.....59

الحضور والغياب في قصص الأولياء

قصص الأولياء الأقطاب.....64

قصة الشيخ عبد القادر والعجوز.....65

تحليل القصة.....65

الشيخ البودالي خديم سيدي عبد القادر.....66

تحليل القصة.....67

قصة الشيخ عبد القادر مع الشيخ بوزيد.....68

تحليل القصة.....69
مأدبة الشيخ عبد القادر.....70
تحليل القصة.....70
سيدي عبد القادر والسبتي بن العباس.....71
تحليل القصة.....71
قصة أولاد نهار.....72
تحليل القصة.....74
قصة الولي الجنين.....75
تحليل القصة.....75
قصة لالا ستي وعبد القادر الجيلاني 76
تحليل القصة.....76
قصص الأولياء المحليين.....78
قصة سيدي منصور الكبريت وأبناءه.....78
تحليل القصة.....79
الخاتمة.....83
الملاحق.....85
قائمة المصادر والمراجع.....95
الفهرس.....100